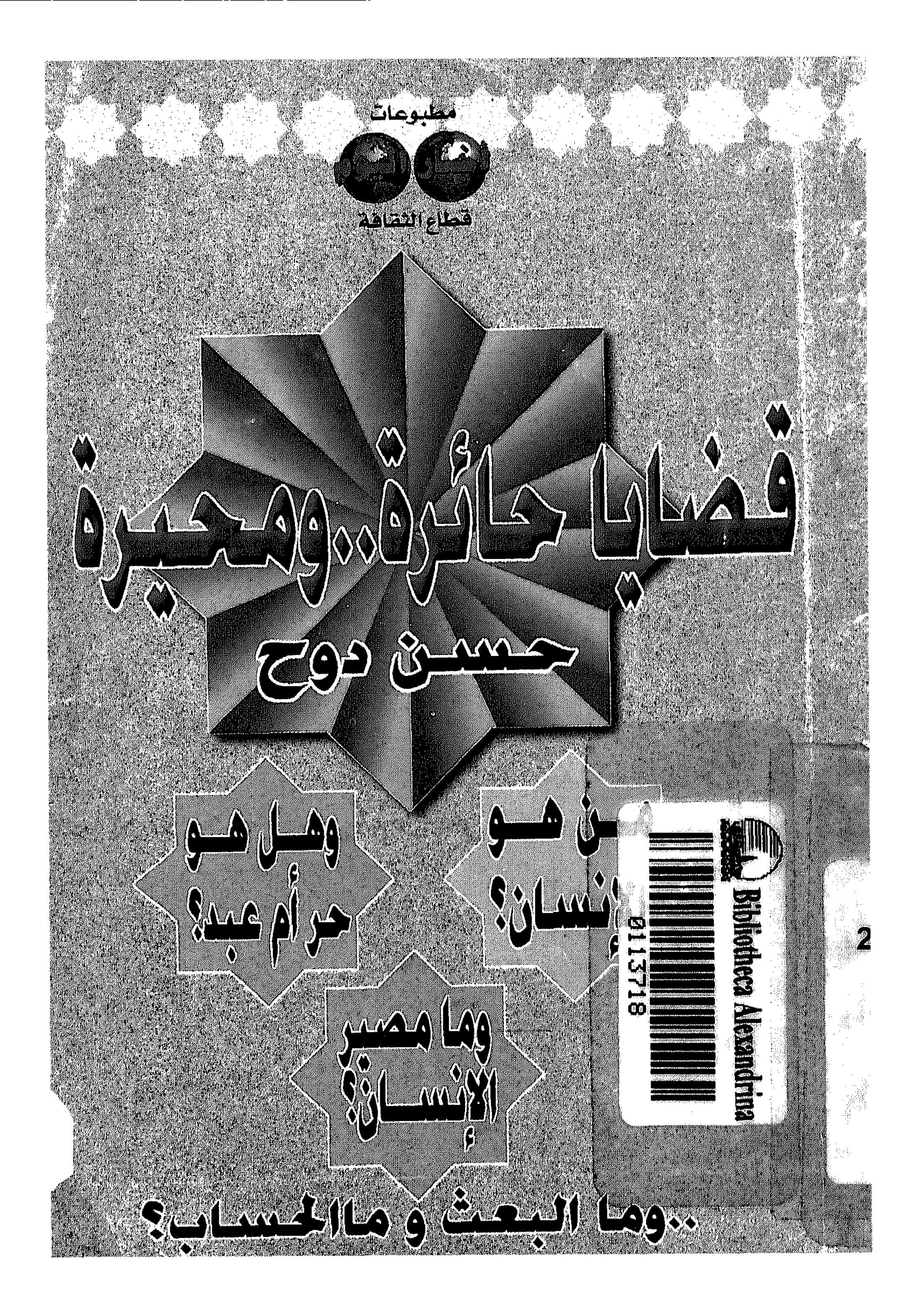
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

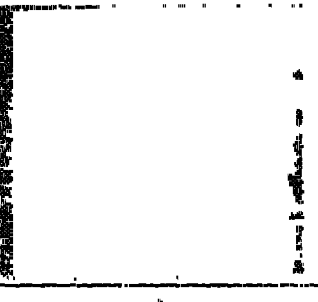
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





رئيس مجلس الإدارة :





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



قطاع الثقافة

قضايا حائرة .. وحيرة

حسن دوح

من هو الإنسان؟

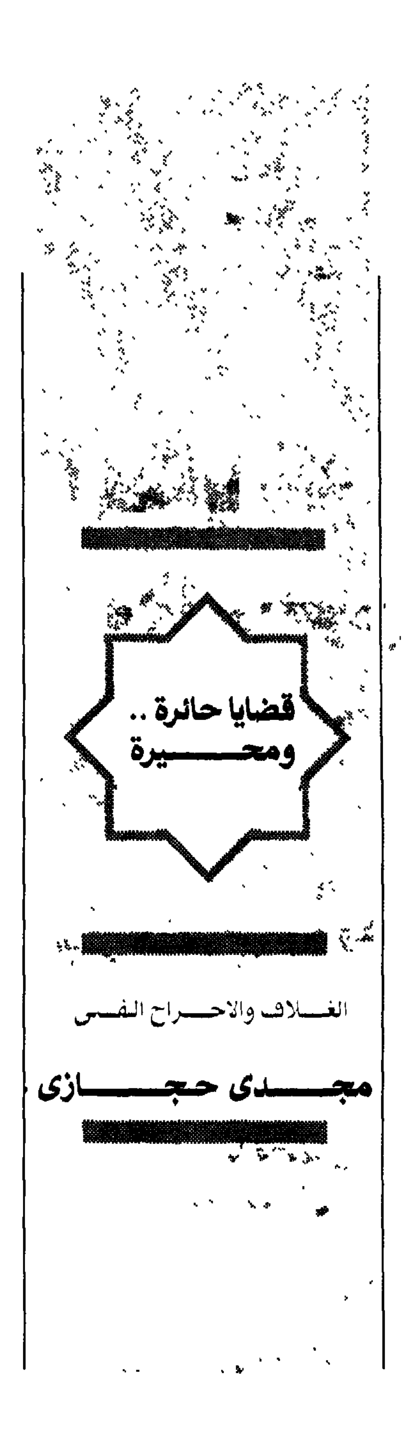
وهل هو حر أم عبد ؟

وما مصير الإنسان

.. وما البعث وما الحساب؟

رقم التسجيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





مقدمة

هذا الكتاب ينسب الفضل فيه لأخبار اليوم ، لأنها فتحت صدرها لى ، فأقبلت عليها بكل الحب ، وأودعت ما رزقنى الله من القليل من العلم بين يديها ، فجملته وزينة ويسرته لجماهير قرائها ، ثم مضت بى السنون تعصف بذاكرتى ، فأنستنى ما سبق أن كتبته فى صحيفتى المحببة ، فلما هيأ لى أخى وزميلى الأستاذ نبيل أباظة فرصة الكتابة من قبل فى « كتاب اليوم » ونشر لى كتيب « الاستغاثة » أطمعنى هذا التشجيع أن أبحث عن موضوع جديد ، وغير تقليدى ، وفجأة وجدتني أرجع بذاكرتى إلى أكثر من خمسة عشر سنة ، فهرعت إلى « أرشيفى الخاص » حيث كانت ترقد أخبار اليوم فى سكون ، وهى تطوى بين جنباتها سلسلة من المقالات التى سجلتها فى أشهر رمضان ، فوجدت فيها ضالتى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووجـــدت أن من واجبـى أن أتقـــدم بها من جـــديـــد إلى نفسـى الصـحيفة ، ولكن من خلال كتبهـا التى انتشرت على نطاق واسـع فى الأرض ، ووجدت الاستجابة من القـائمين على أمر الكتاب : الأستاذ إبراهيم سعدة رئيس مجلس الإدارة ، ورئيس تحريـر أخبار اليوم ، والأستاذ نبيل أباظة .. فهذه بضاعتهم ردت إليهم وإلى أخبار اليوم .. وهذا الكتـاب إن يكن فيـه من جديـد ، فإنه تنـاول موضـوعات تشـغل بال العامة والخاصة .. وأحسـب أن كل مـوضوع تناوله هذا الكتـاب يفتقـر إلى العشرات من الكتـب ، والعشرات بل والمئـات من الكتاب .. ويكفى أن نذكر بعض عنـاوين الموضوعات المثيرة لتأكيد وجهة نظرنا..

- من هو الانسان
- وما ماضيه وما حاضره وما مستقبله ؟؟
- وهل هو حرام أم عبد !!
- الله والانسان !!
- الانسان بين الرحمة والعذاب
- من خلق الانسان !!
- ومن بعث الأنبياء .. وكيف نثبت نبوة محمد
- وكيف تم اللقاء بين محمد والمسيح فى يوم واحد !!
- وأخيراً تعـالــوا لنسعى إلى محمــد ونتلقى عنـــه الحكمــة ، والاجابة عن كل تساؤلاتنا

هذه الموضـوعات اخترت لها عنـواناً ، ووضعتـه على هامـة هذا الكتـاب :

« قضايا حائرة ومحيرة » تبحث عن إجابات شافية

حسن دوح

١



شخصية الإنسان شخصية محيرة للإنسان نفسه ، وقد خضعت هذه الشخصية لدراسات نفسية هائلة ، كما خضعت لدراسات طبيعية وكيميائية ، ومع هذا لم يتوصل الإنسان لمعرفة هذه الشخصية . وكان من نتيجة هذا العجز فى تفسير شخصية الإنسان ، ظهور مذاهب وأفكار طعنت الإنسان فى الصميم وأهدرت كرامته الإنسانية .. منها أنه نسب للقردة . وكان من نتيجة هذا الشطط فى التفكير ، انهيار القيم والمثل الإنسانية ، والاستسلام للبهيمية . وفى هذه الدراسة نحاول أن نستعرض الأفكار المتعارضة التى حاولت الكشف عن حقيقة الإنسان .. كما سنحاول طرح شخصية الإنسان على بساط الدين ليعرفنا بما غمض من شخص الإنسان .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



من هو الإنسان ؟

محاولة معرفة الإنسان عن طريق المعامل..

كرس .. العالم الفرنسى « أليكس كاريل » حياته لدراسة الإنسان ، درس فى المعمل ودرس فى الكتب وعاش معه فى دروب الحياة ، ثم أمسك قلمه ليسجل كتابا اختار له العنوان « الإنسان ذلك المجهول » ووصده بمقدمة صادقة ، قال فيها عن نفسه « لست يلسوفا ، ولكنى رجل علم فقط ، قضيت الشطر الأكبر من حياتى المعمل ، أدرس الكائنات الحية ، والشطر الآخر فى العالم الفسيح اقب بنى الإنسان وأحاول أن أفهمهم ..»

ثم سجل نتائج دراسته والآخرين قائلاً : « إننا لا نفهم نسان ككل .. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة ، وحتى ذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا ، فكل واحد منا مكون من موكب من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأشباح تسير فى وسطها حقيقة مجهولة ، وواقع الأمر أن جهلنا مطبق فأغلب الأسئلة التى يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى تظل بلا جواب ، لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية مازالت غير معروفة ..

بهذه الصراحة بدأ كاريل كتابه ، وبنفس الصراحة انتهى إلى أنه ــ وهو الحاصل على جائزة نوبل ــ عاجز عن معرفة حقيقة الإنسان ..

ثم رفع الرجل يداه مسلما بأن العقل عاجز عن فهم حقيقة الحياة .

لقد كنت أتمنى أن يرشدنا هذا العالم الفذ إلى وسيلة أخرى لفهم هذا اللغز الذى حيره .. وعجز عن معرفته .. ولكنه لم يفعل ، ومما لاشك فيه أن هذا العالم معذور فى موقفه ، لأنه وبعد دراسات مضنية عجز عن الوصول إلى الحقيقة ، فواجه بها نفسه ثم واجه بها الناس ..

ولم يفعل ما فعله غيره من السفسطائيين الذين أضلوا البشرية ضلالا بعيدا ، وأوقعوها فى حرج ، وكبدوها متاعب كثيرة .. إنه لم يدع ما ادعاه « داروين » الذى تصدى لأخطر قضية وهى قضية خلق الإنسان ، وادعى أنه توصل إليها فارتكب حماقة فى حق نفسه الإنسانية كلها ، ولنستمع لخرافته الكبرى عن منشأ الإنسان : « كانت النشأة الأولى من الأحياء المائية، ومن هذه الأحياء المائية نشأت الأحياء البرمائية ، ومنها نشأت الأحياء البرية، ومن الحيوانات البرية نشأ الإنسان الذى لا يفصله عن القرد سوى حلقة واحدة ..

ويتركنا داروين ندور فى هذه الحلقة ، ونتخبط بداخلها ، ونفتش عن آثار الجسد الكبيرة فى أجسادنا وفى أنفسنا وفى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرواحنا.. ويجد « داروين » من أمثاله من يعزف على قيثارته ، ويرقص رقص القرود ، ويستسلم لحيوانيته ، فينغمس فى شهوات نفسه ، ويستسلم لغرائزه .. لأنه ابن لقرد ، والقرد حيوان .. وبالتالى فإنه حيوان مثله .

وعلى طريق داروين مضى البعض ليقولوا، انه مادام القرد قد ارتقى إلى مرتبة الانسانية، فإنه سيظهر إنسان « سوبرمان » أرقى درجة من انسان اليوم. ومضت الخرافات إلى أن قالوا والعياذ بالله أن الله سيخرج من هذا الإنسان السوبر مان وسقط داروين وخرافاته.

هذا التخريف رفضه العلم، لأنه جار على الإنسان ونال منه، ومن تاريخه ومن مستقبله كذلك.. فمثلا.. قام أحد العلماء بأبحاث عن عقل الإنسان وعقل القرد، واختار أذكى القرود هى الغوريلا ، واختار إنسانا عاديا فى نصف وزن الغوريلا ، وعمل موازنة بين عقل القرد الكبير .. فوجد أن وزن مخ الغوريلا لا يزيد على ٣٦٠ جراما بينما يصل وزن مخ الإنسان العادى إلى ١٣٦٠ جراما .. فأى علاقة بين هذا الحيوان وبين الإنسان ؟

وقام عالم الطبيعة «شرنجتون» بدراسة تفصيلية على الإنسان خرج منها بحقيقة وهى أن الإنسان «طاقة وعقل» .. قال فى حيثيات حكمه «لقد أصبح بقدرة العلم الطبيعى أن يفسر الجيد باعتبارها تنفسا وحركة ، ونموا وتوالدا ، وتحليلا للأغذية الأنسجة .. الخ ، ذلك لأنه لا يوجد شىء من هذه الظواهر لا يقع تحت طائلة العلم ، إنها كيميائية وطبيعية ، ولكن هذا الشىء الآخر المصاحب للحياة وهو الفكر ، فإنه يهرب من دائرة العلم الطبيعى ، ويظل بعيدا عنه ، حتى لقد بدأ العلم الطبيعى يتجاهله باعتباره شيئا يخرج عن دائرة بصره ، وبهذا نشأ فارق أساسى بين الحياة والعقل ، فالحياة موضوع للكيمياء والطبيعة ، أما العقل فيهرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منها ، بحيث يمكن تلخيص الإنسان فى أنه يتألف من «طاقة وعقل».

ومع هذا التصدى للدفاع عن الإنسان فى مواجهة النزعة الحيوانية التى يريدون فرضها عليه .. فإنهم عجزوا عن وضع تعريف أمين له.

وكشف السر الغامض :

لقد كشف هذا السر الغامض عن طريق خالق الإنسان ، فهو الذى عرف الإنسان بنفسه ، وكشف عن أسراره ، حدد مكانته من المخلوقات الأخرى ، كما بين له الطريق الذى سيسلكه فى حياته.. وعرفه بنهايته ثم ببعثه من جديد ، ثم بحياته اللانهائية .. ومع هذا فإنه حبس عنه الكثير من الحقائق العامة وحقائق نفسه ، وخبايا مستقبله .. وطلب منه أن يسلم بما خفى عنه .. بل جعله شرطا لإيمانه .

لقد استأثر الله بعلم الغيب وحرم الإنسان منه .. «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين».

ثم إنه أمر رسله بتبليغ الناس بأن الله وحده هو الذى يعلم الغيب «قل لا يعلم الغيب إلا الله».. كما أخفى نفسه عن نظرنا المجرد «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» .

وطلب من الناس أن يؤمنوا بالغيبيات التى استأثر بعلمها «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون».

وطلب من رسوله أن يبلغ الناس أنه هو نفسه لا يعلم الغيب «قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء» .. وقال فى موضع آخر «ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأرسى القاعدة الكبيرة وهى أن العلم كله بيد الله «وسع ربى كل شىء علما».

وفى نفس الوقت سمح بقدر ضعيف من العلم لهذا الإنسان «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

هذا الحكم الصريح حدد قدرة الإنسان فى دائرة محدودة ، ومهما اجتهد ، ومهما فعل فإنه سيظل قاصرا عن ادراك معظم الحقائق .. «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» .. فمثلا سيظل الإنسان جاهلا بأمور تمسه شخصيا ، كجهله بيوم ولادته، وجهله برزقه ، وبعمره ، وبنهايته ، وببعثه ، وبنشوره .. «وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت» .. «وسيظل كذلك جاهلا بروحه «قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيم من العلم إلا قليلا» ..

فالله سيظل هو العالم الوحيد بكل أسرار الحياة وبالتالى بكل أسرار الناس .. «لا يعلم الغيب إلا الله»..

والله وحده الذى سيمنح الإنسان قدرا من أسراره ومن علمه لن يتجاوزه مهما كان عقله ومهما كانت شخصيته ، فقد قال لرسوله : «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا».

فإذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا أن نسلم بأننا لن نبلغ غايا العلم بهذه الحقيقة .. وستكون قناعتنا بالقدر الذى سيمنحنا الله إياه هو سر سعادتنا .. وسر راحة بالنا .. ولا نعذب أنفسنا ولا نعذب البشرية معنا كما فعل داروين وأمثاله.

فماذا قال الله عنا ..

وكيف عرفنا بأنفسنا ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد عرفنا الله بالإنسان معرفة تفصيلية . عرفنا بنشأته وبأصله ، وبحياته ونهايته ، ثم ببعثه وبحياته الثانية.

لقد عرفنا بالجانب المادى فيه بقوله : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين».

هذا الوصف لخلق الإنسان يمثل الجانب الأول فيه فى خلق الإنسان الأول ، الذى خلق من طين .. ثم انتقل إلى المرحلة الثانية وهو التناسل نتيجة الإزدواجية.

ومع هذا فإن الإنسان يذكر دائما بطينيته ، وأنه سيعيش بهذه الطينية .. وأنه سينتهى إليها .. «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى».

ويذكر الرسول عليه الصلاة والسلام الإنسان بهذا النسب فيقول «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ثم يذكره بأنه ينتمى لأسرة آدم وليس لغيره «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء».

ثم يذكره بأن مشكلة قامت فى موطن الإنسان الأول ، قضى الله فيها بطرد الإنسان الأول من الجنة ونزوله للأرض .

ثم يذكره بالنزاع الذى نشأ بين الأخوين قابيل وهابيل ، والذى انتهى بمصرع احدهما.

ثم يشرح له قصص الرسل والأنبياء ، ويطلب منه اتباعهم ، ويشرح له قصة الشياطين بزعامة ابليس ويحذره منهم ومن اتباعهم.

هذه الملحمة التاريخية التى تناولت خلق الإنسان الأول ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنـاولت مشوار الحيـاة تمثل جـزءا رئيسيا فى معـرفة شخصيـة الإنسان ، وتكشف له عن جوهره .

ومن هنا يبدأ تفكير الإنسان ..

— يبدأ من مسلمات ليس له فيها الخيرة .. لقد نشأ من طين.

— وتناسل من إنسان .

— وكان فى الجنة .

— ونزل إلى الأرض .

— هو مركب من عناصر مادية معينة.

— وأنه يستمتع بالروح وبالعقل من دون الكائنات.

— وأنه سيعيش فى الأرض وسيموت فيها وسيبعث منها .

— وأنه سيدخل جنة أو نارا .

بعد أن يسلم بهذه الحقائق له أن يبحث عن نفسه ، ويغوص فى أعماقها كيف يشاء .

«وفى أنفسكم أفلا تبصرون».

أوصـاف الإنســـان

ولقد وصف الله الإنســان ، وصفه ظاهــرا وباطنــا .. وكشف له عن هذه الأوصــاف فى آيات كثيرة من القرآن .. وصف قوامـه بقوله «لقـد خلقنـا الإنســـان فى أحسن تقــويم» . ووصف صــورتــه «وصوركم فأحسن صوركم».

ووصف بعض أعضــاء جســده «ألم نجعل له عينين ، ولســانـا وشفتين ، وهديناه النجدين».

ثم وصفه أوصافـا نفسية .. وأخرى خلقية .. «ولقـد كرمنا بنى آدم».. «ونفس وماسواهـا فألهمها فجورها وتقواها».. «إنـا هديناه السبيل إما شاكرا وإمـا كفورا » «خلق الإنسان من عجل».. «وخلق الإنسان ضعيفا»..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا».. «قتل الإنسان ما أكفره».. وكان الإنسان أكثر شيء جدلا».. «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين»..

هذه الصفات بعضها يرفع من قدر الإنسان وبعضها ينزل به إلى أسفل سافلين، وهى صفات تلحق العمل الصالح أو العمل الفاسد..

ومن خلال هذه الأوصاف يستطيع الإنسان أن يقول إننى قد عرفت القدر الذى أراده الله لى لأتعرف به إلى نفسى.. وبهذا القدر سأعمل فى الأرض مسترشدا بعلم الله ونوره..

وهناك قضية هامة لابد أن يعرف الإنسان بعض جوانبها حتى تستكمل صورته أمام نفسه.. فالإنسان ليس فردا قائما بذاته ولكنه يعيش فى كون يتألف من سماء تظله، وأرض تقله، وبحار وأنهار، ورطب ويابس، ورياح وعواصف، وأمم من أمثاله من الطير والحيوانات.. كل هذه الكائنات تؤثر فى الإنسان وتتأثر به.. ولقد أثر الإنسان على سائر هذه الكائنات، بل إنه سخرها له لتكون فى خدمته..

— «ولقد كرمنا بنى آدم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»..

— «ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..»

— «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون».

— «وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون».

وبعد أن عدد الكائنات المسخرة فى خدمة الإنسان، أعلمه بأنه لا يعرف منها إلا القدر اليسير وما خفى كان أعظم، «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم»

ثم بين علاقته بعالم الملائكة ودنيا الشياطين..

فجعل الملائكة حراسا وحفظة عليه، ومسجلين لكل أعماله وتصرفاته. «وإن عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون».

وحذره من خطورة الشياطين، وكشف عن تآمرهم.. «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا».

* * *

هذه هى دنيا الإنسان الخارجية، وهى دنيا تتأثر وتؤثر فى الإنسان، فمن أراد أن يتعرف إلى شخصية الإنسان فعليه أن يدرس نشأته وتاريخه، وخصائصه، وعقله ونفسه، ثم يدرس العالم المحيط به.

فهل يستطيع أحد أن يقوم بهذه الدراسة!!

الرد السريع لا..

فماذا يفعل الدارس..

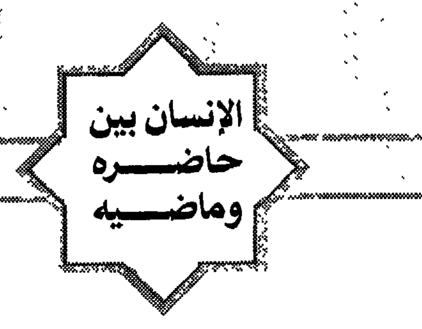
يبدأ بالتسليم بعجزه عن الإحاطة بعلم الإنسان، تاركا الأمر لخالقه، ثم يعمل فكره بعد ذلك باذلا قصارى جهده للوصول إلى حقيقة نفسه، رافعا راية عالية تقول:

«وماأوتيتم من العلم إلا قليلا».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٢

سؤال يشغل بال الكثير من الناس.

هل إنسان القرن العشرين مهيأ قلبيا وذهنيا ليكون متدينا؟ ولو أردنا أن نفصح أكثر. وبسطنا السؤال بصورة محددة وصريحة.. فهل إنسان القرن العشرين الذى طار فى السماء حتى ركب ظهر القمر، وغاص فى أعماق البحار حتى أخرج منها بترولا ملتهبا.. وادعى أنه زرع أطفالا فى الأنابيب، وأنطق التليفزيون وركب عقلا حديديا للكمبيوتر.. فهل يسلم هذا الإنسان بالدين ويستسلم لله رب العالمين، ويضع هامته على الأرض ساجد لله شكرا؟!


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



هذا السؤال لن أستطيع الإجابة عليه إلا بالقرآن، وعلى لسان حامل القرآن.

قبل أن أجيب على هذا السؤال الكبير أود أن أتساءل: هل أصيبت العقيدة بالبلى لتقادم زمانها؟

الجواب نجده فى العقيدة نفسها، فالقرآن وهو يعرفنا بعقيدتنا، رجع بنا إلى خلقنا الأول، فمنح الأب الأول صفة النبوة، ثم قص علينا معظم قصص رواد هذه العقيدة من رسل أو أنبياء أو حكماء.. «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه». ولقد جاء هؤلاء الرسل والأنبياء على فترات متباعدة. ثم أودعها فى قلب آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، وذكره بمقامه بين إخوانه فقال له «وما محمد إلا رسول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قـد خلت من قبله الرسل». ثم ذكرنا بأن نهاية محمد كبشر بالموت لا تعنى نهاية رسالته فقال «أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئـا...» وهذه الآيـة نزلت على الرسول نفســه لينقلها للناس من بعده عن طريق القـرآن... فالدين موجـود بين أيدينا مترابط الحلقـات، متصل الأسباب، بدأنـا الله به من عهد آدم عليه السلام إلى آخر زماننا، وبالتالى فإن القدم والبلى لن يصيبـه أبدا وإن كـان الـدين لا يصيبـه البلى فهل بوسعـه أن يوائم مـا بين مبادئه العامـة ومقتضيات عصر كل شىء فيـه صار جديـدا... بمعنى أن نقول هل نطلب من إنســان القرن العشرين أن يـرتد بفكـره وبسلـوكه إلى آلاف السنين فيصلى ويصــوم، ويحج، ويمتنع عن أكل مـا حـرم الله، ويلتـزم بـالدين سلـوكـا ومنهجـا، وتشريعا؟!.

هنـاك أسئلـــة تسبق الإجـابـــة على هــذا الســـؤال أولها... هل المتغيرات المادية الرهيبة يمكن أن تقتحـم فطرة الإنسان فتلغى هذه الفطرة.. وتحل محلها فطرة جديدة بحيث يتحول الإنسان إلى كيان جديد وصبغة جديدة؟!

وثانيهـا هل من مقتضى هذا التغيير نسخ كل العقـائد والأفكار والمثاليات والأخلاقيات التى كان يعمل بها من قبل؟.

الإنسان هو الإنسان.

الإنسان مخلـوق بكيانــه الروحى والمادى.. فـالروح وهى التى أسبغت عليه وصف الإنسان، وأمدته بـالحياة الحقة، سرها تفرد به خـالق الإنســان، ولم يأذن للعقـل البشرى على الـرغم من قـدرتـه الهائلة بالتعرف على هـذا السر «قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» فالكيان الروحى للإنسان، والذى يمده بالفطرة ويزوده بمقومـات الإنسانية فيها لم ولن يجد عليهـا جديد! ويبقى بعد ذلك الكيان الجسدى وهو الـذى يجمع كافة الأعضاء التى تمد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنسان بالحركـة، هذا الكيان لم ولن يتغير أبدا لأنه نتـاج الثنائية بيّن ذكر وأنثى.

وهذا النتـاج خرجـت منه كـافة المخلـوقات الحيـة ، والإنسان بينهـا وعلى الـرغم من تمييـز الإنسان بـالعقل الـراجح واللسـان المبين، إلا أن بعضـا من صفـاتـه لم يحرم منهـا الحيـوان والطير والزواحف، فالببغاء ينطق بلسـان مبين وإن كان لا يفهم ما يقوله، والكـلاب والذئاب لها ذكـاء خارق، والنحل لـديه قـدرة التنظيم فى بنـاء كيـان دولة قـد لا يتـوصل إلى مثلهـا الإنسان... فـالقـدرات الجسـدية التـى أوتيها الإنسـان معظمهـا مشتركـة ما بينـه وبين الكائنـات الحية.. حتى الأخـلاق التى يعـرفها الإنسان.. والتـى قد ينحرف عن معظمها على الرغم من أهميتها فى التعايش السلمى مع الآخرين، نجد الحيوانات تستمتع بها ولا تملك التفريط فيها.

وكلنـا نعـرف وفـاء الكـلاب، وصبر الجمال، وتعـاون النمل، والتعـاطف مـا بين الأمـومـة والطفـولـة فى جميع الحيـوانـات... فالإنسان يشـارك هذه الحيوانات فى معظم تكـوينها الجسدى وإن كان قد تفـرد بالعقل المبدع إلا أنه وللأسف الشـديد استعمل هذا العقل فى التخـريب والقتل والجور، والحروب التى لا تتـوقف فى عصرنا، تقف شـاهدا على أن الإنسـان قد أفـرط فى استعمال عقله، ولم يقيده بالدين أو الخلق أو الإحساس بالمسئولية نحو الآخرين.

وفاء الكلاب وصبر الجمال

وحتى الغـرائز التى متع الله بها الإنسـان والحيـوان، اكتفى الحيوان فيها بأداء وظيفة التناسل، أمـا الإنسان فقد أفرط فيها حتى صار عبدا مسخرا لها، وهو الآن مشغـول بإلغاء أهم وظيفة الغريزة وهى التناسل لأنه يخشى مشاركة غيره فى الطعام والشراب!!

ومع هـذا كله فقـد كرم الله الإنسـان وعزز مكـانته بين سـائر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مخلوقاته فقال «ولقد كرمنا بنى آدم».

ثم سخـر له كـافـة المخلوقـات من جماد وحيـوان، سخر لـه الشمس والقمر والـرياح وسخر لـه الحيوانات ليأكل منهـا ويركب ظهرها، ثم نصبه فى مكان عال مـن المخلوقات غير المرئية والمقربة جـدا من الله وهى الملائكة حين أمـرها أن تسجـد إجلالا وتكـريما للأب الكبير «وإذ قلنا للملائكـة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس..» بل عاقب هذا العاصى بحرمانه من الرحمة والجنة، مع الموافقة على طلبه بالبقاء بين الناس، وهـو قائم الآن بدور تخريبى رهيب، «قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين».

الإنسان سيد الموقف

هـذا الإنســان لم ولن يتغير.. روحــه هى روحــه، وجســده هــو جســده وعقله.. هـو عقلــه.. بـاستثناء أنـه فى بعض بقـاع الأرض استثـار عقله، فنشط وزاد انتـاجـه، ولكنـه قصر عن الوصــول إلى النهـاية ولن يصل إليهـا «وسع ربى كل شىء علما»، «ومـا أوتيتم من العلم إلا قليـلا» ويروى أن الـرسول قـال «لايزال العبـد يقول ما كذا ما كـذا حتى يقول خلق الله الخلق فمن خلق الله» فإذا جاءنا من ينكر علينا حقيقة من هـذه الحقائق الثابتة، مثل سر الروح، أو التركيب الجسدى للإنسـان - وليس معــه برهان ولن يكون فإن من حقنا أن نرد عليـه قوله... يبقى السؤال قـائما هل بوسع المتغيرات المادية الجبارة أن تغير من فطرة الإنسان؟!

المتغيرات الماديـة ليست وليـدة اليـوم، وبـالتـالى ليست وليـدة الإنسان المعـاصر، إنها وليدة جهـود إنسانيـة مضنية شـارك فيها إنسـان الغـابة زميله الـذى صعد إلى القمـر، كل منها أدى دورا، بل لعل إنسان الغـابة صا حـب فضل على ابنه الذى صعـد إلى القمر، وكلاهما لم يخلق جـديدا ولكنهما استفـادا من الامكانيـات المادية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى أوجدهـا الله فى الأرض والماء والهواء والسماء.. وانسان الأمس كـان يأكل ويشرب ويتناسل ويسـالم ويحارب وهذه الـوظـائف يمارسها الانسان الجديد. وان كان ـ وللأسف الشديد ـ يمارسها بجشع أكبر وغلظة أشد. إنسان الأمس كـان يقتل بالأحاد، مستعينا بـالسهام والحراب، أمـا إنسـان اليـوم فيقتل الملايين بـالقنـابل الذرية. فماذا تغير فى الإنسان..

إنه هو هـو .. بكيانه الروحى والمادى، وكل مـا استجد عليه من أسباب مـادية لم تغير من جوهـره ثم أن المتغيرات المادية أضعف من الإنسان بكثير لأنها صـدرت عنه فهو الذى ابتكرهـا وأنشأها فكيف ينتصر الفرع على الأصل..

لقد صنع الإنسـان الطائرة ثم طـار بها فى الفضاء فهل ينسب إلى الطائرة أم تنسب الطـائرة إلى الإنسان، والإنسان صنع الـراديو والتليفـزيون والسينما، وهى كلهـا أدوات خرسـاء ولولا الإنسـان مـا نطقت وما تحركت فمن هـو سيـد الموقف: الشاشـة الصماء، وصندوق الخشب أم الإنسان الذى يبث من خلالها؟!

إن كل ما استجـد فى الأرض هو من صنع يـد الإنسان تـوارثه من أخيه الإنسان القـديم، وحتى لا نصف الإنسـان الجديد بأنه شخصيـة خـلاقـة فى حين نقـول أن إنسـان الأمس لم يكن بهذا المستوى من الخلق والإبداع وبالتالى فـإن إنكار إنسان اليوم للدين وللعبادة وتبرمـه يعتبر عملا حضاريـا!! هذا الكلام مـردود بدليل أن إنسـان الأمس قـد أثبت قدرات هـائلة فى الخلق والإبـداع.. فبناة الأهرامـات وبناة السور العظيم، وبناة بـابل. وعظماء الفلسفة مثل كونفوشيوس، وبوذا، وأرسطو، وأفـلاطون، هؤلاء لاشك كانوا بناة حضارة متكاملة..

وكان منهم المؤمن بالـديانات المتفانى فيها، والكـافر بها المتمرد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليها.. كحـال أبناء عصرنـا الذين أطلقـوا الصواريـخ وصعدوا إلى القمـر واخترعـوا الكمبيوتـر، ومنهم المؤمن ومنهم الكـافـر ومنهم الـزائغ البصر بين الإيمان والكفـر. واسمح لى أن أذكـر أمثلـة عن تفاهـة عقلية أبنـاء عصرنا ونقـارنها بتفاهـة عقلية إنسـان الأمس إنسان عصرنا صنع تماثيل ومقابر لعظماء عصره ـ كما يسميهم ـ وهو يستعبـد نفسه وفكـره لأصحاب التماثيل والقبـور.. وأحدث الأمثلة تماثيل ومقـابر ماركس ولينين.. هذا مـا فعله إنسان العصر وهو نفسه ما فعله إنسـان الأمس يوم أن نحيت صخورا من الجبال وصنع منها تماثيل ثم مثل أمامها صاغرا.

نخلص من هـذا إلى أن المتغيرات الماديـة لم ولن تخلع الإنسـان من طبيعته لأنها من خلق الإنسان وليس الإنسان من خلقها..

الماديات والعقائد

القـول بأن المتغيرات الماديـة يمكن أن تلغـى العقـائد الـدينيـة وبالتالى تلغى العبادات من صلاة وصوم وحج..

هـذا القـول فيه جـور كبير على الـواقع.. لأن المتغيرات الماديـة الجديدة نشأت لخدمة عقيدة من العقـائد سواء كانت عقيدة وطنية أو عقيدة إنسانية أو عقيدة مذهبية وألمانيا بنت حضارتها المعاصرة لتثبت أن الجنس الجرمانى هـو سيد الأجناس، واليهـود يعملون ويبتكرون ويغيرون على الأمم لخدمة العنصريـة السامية وروسيا تكدح وتغير وتقتل لتخـدم فكر ماركس ولينين.. ولكل هـذه الدول، ولكل هـذه المذاهب شعارات وطقـوس، يقدسهـا الناس ويفـدونها بـالمال والأرواح فهل إذا قلنـا أن راكب الصـاروخ يجب أن يعلن كفره بالله وإيمانه بـالكرملين والبيت الأبيض حتى ينجح فى مهمته هل يقبل منا هذا القول!!

إن قبول هذا القول فيه جور وظلم وتحقير للإنسان، وفيه ظلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للعقيـدة.. لأن العقيدة تـدفع بـالإنسان ليكتشـف غوامض الأمـور ليزيد إيمانا وثقة بالله، ولقد كان لـلإنسانية فى سيدنا ابراهيم قدوة حسنة حين أخذ يتساءل عن ظواهر الكون ليزداد يقينا بالله.. وكان الـرسـول يـوصى المؤمن بـالتـأمل والتفكير ومحاولـة البحث عن الحقيقة قـال لأصحابـه «تفكروا فى خلـق الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا».

ولقـــد ثبت لجميع المخترعين والبـــاحثين أنهم لابـد أن يبـــدأوا بحثهم من مخلوق محسوس أو غير محســوس، ثم يحاولوا تشكيل هـذا المخلـوق وتطـويـره ليؤدى الـدور المطلـوب منـه.. فـالأرض مخلوقـة، والماء مخلوق والبذرة مخلوقـة كلها مخلوقـة ابتداء، فإذا ما بذر الإنسان البذرة ثم رواها بالماء فهل يعد هذا الإنسان خالقا لهذه الشجـرة!! والصاروخ الـذى حمل إنســانـا إلى القمر، معـدن الصــاروخ مخلـوق أصلا والعنـاصر التى أدخلت فيـه مخلـوقـة، والإنسان الذى ركبه مخلوق أيضا والقمـر مخلوق، كلها مخلوقات فإذا تهيأ لإنسان أن يستخدم هـذه المخلوقات ليصل بها إلى القمر فهل هذا يدعوه للكفر أم للإيمان؟!

إن إقامـة سور بين الـدين والنمو الحضـارى يمثل تآمـرا ضد الـدين وضـد الحضـارة وضـد الإنســان... والأفضل أن نقـول أن إنسان اليوم هـو إنسان الأمس، وأن المتغيرات المادية لم ولن تغير من طبيعة الإنسان.. كما أن المتغيرات المادية مهما بلغ شأنها فإنها لم ولن تغير من العقيـدة الدينيـة لأنها هى السيـد المنشىء للنفس الإنسانية.

ولقـد آن الأوان لنقول لـلإنسان لا تقـل ما قـاله قـارون «إنما أوتيتـه على علم عنـدى» ولكـن قل «ربى زدنى علما».. وصـــدق الله العظيم «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الإنسان حر أم عبد ؟

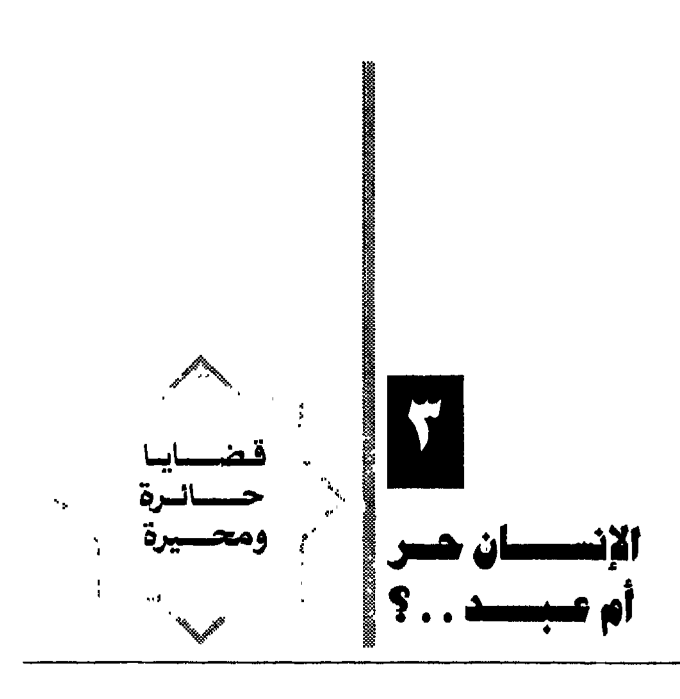
٣

مسكين إنسان عصرنا .. مسكين لأنه مثقل بقيود وأغلال لا تعد ولا تحصى.. العالم كله فرض عليه أن يسكن داخل جدر دولة من الدول، والدولة تسكنه داخل إقليم، والإقليم يضطره أن يعيش فى مدينة أو قرية، وفى المدينة يعتقل داخل بيت.. وبعد هذا كله يجلس داخل فكر محدود أو مذهب معين.

فهل بعد هذا، الإنسان حر أم عبد؟؟


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



فما هى حقيقة الإنسان؟؟ هذا التساؤل يحتاج لمجيب.. فمن يستطيع أن يتصدى للإجابة؟!

الذى يتصدى للإجابة لابد أن يكون على علم كامل بحقيقة الإنسان وجوهره.. فهل نكون منصفين للقضية المعروضة أمامنا؟؟.. وهى قضية الإنسان.. بمعنى : هل نقبل من الإنسان أن يصدر حكما لصالح الإنسان أو حكما ضد مصلحته؟

إن إعطاء الإنسان هذا الحق فيه جور على العدالة.. لأن الإنسان لا يحيط علما بكل شخصية الإنسان.. ولا يعرف من أخبار نفسه إلا النزر اليسير، فهو يجهل تاريخه.. يجهل أصله، ويجهل خلقه.. ويجهل حاضره ويجهل كل الجهل مستقبله.. فهل يستطيع جاهل أن يصدر حكما فى قضية لا يلم بكل جوانبها؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا أعطينا الإنسان هذا الحق نكون كمن نصب نفسه على منصة القضاء ليحكم فى قضية لا يعرف شيئا عن وقائعها، ولم يسمع شهودها..

وهو جاهل كل الجهل بالقانون الذى سيصدر بمقتضاه الحكم.. فتنصيب الإنسان حكما فى قضية حرية الإنسان أو عبوديته مرفوض شكلا وموضوعا، كما يقول رجال القانون..

فإلى من نلجأ لنستصدر منه حكما فى هذه القضية؟؟.. الذى نلجأ إليه لابد أن يكون على علم كامل بخلق الإنسان، وخلق المكان والزمان الذى يعيش فيه الإنسان، وعلى علم بماضى وحاضر ومستقبل الإنسان.

فمن يكون هو ؟؟!

خالق الإنسان وحده هو المحيط علما بخلق الإنسان وخلق دنيا الإنسان، وخلق آخرته.. فإذا أردنا أن نجيب على مسألة تتعلق بالإنسان فعلينا أن نلتمس الجواب عند «عالم الغيب والشهادة».. الجواب عند الله وحده.. وليس عند غيره.. «وسع ربى كل شىء علما ».

حقيقة الإنسان :

لقد أعلن الله تعالى بأنه هوالذى خلقنا.. خلقنا جسدا، ثم خلق الروح المهيمنة على هذا الجسد.

ثم سواه ونفخ فيه من روحه، ثم استأثر وحده بعلم هذه الروح ، وحجبها نهائيا من الإنسان، «قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

ثم أخفى عنه مستقبله فى الدنيا « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا » كما أخفى عنه موعد وكيفية نهايته مع الحياة: «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم أخفى عنه حقيقة خلقه له وكيفيته: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون».

ثم أعلمه أنه ملازم له طوال حياته، وأنه قريب جدا جدا منه وأنه يعلم عن حقائق نفسه وهمساتها كل صغير وكل كبير من أمره. «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد».

ثم أعلمه بالموطن الذى كتب عليه أن يسكنه فيه، وعن الرزق الذى قدره له: «وفى السماء رزقكم وماتوعدون».. «وجعلنا من الماء كل شىء حى».

ثم قال له عن سكناه: «ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين».

ثم أعلنه بنهايته ونهاية رزقه، ونهاية الأرض الذى يعيش عليها:«وإلى ربك المنتهى».

ثم أعلمه بالحياة الجديدة التى سيحياها بعد أن يستوفى أجله فى الأرض: «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون».

فالذى خلق الإنسان، والذى يعرف كل أمره، والذى أسكنه الأرض، والذى ضمن له الرزق، والذى كتب له الحياة بقدر، وكتب نهايته، ثم يقوم ببعثه ثم حسابه ثم تقرير مصيره.. هذا الخالق وحده الذى بمقدوره أن يدلنا على حقيقة الإنسان أهو عبد أم حر؟

الإنسان عبد :

لقد اختار الله من بين خلقه صفوة من أعقل وأطهر الناس، وحملهم كتبا ليبلغوها إلى اخوانهم البشر، وطبيعى أن يتولى هؤلاء الرسل الصدارة والقيادة والأمانة، فكيف وصفهم الله؟ ولقد وصفهم الله بالعباد.. قال عن أبيهم ابراهيم والذى اختاره خليلا له: «إنه من عبادنا المؤمنين».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأمر محمدا أن يعلن عبوديته لله: «إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها، وله كل شىء، وأمرت أن أكون من المسلمين».

فإذا كان الرسل وهم السادة والرواد، والمعلمون، والقادة عبادالله فهل يعز على الناس أن يكونوا عبيدا؟

وهؤلاء الرسل كرمهم ربهم تكريما لا حدود له فى دنياهم، ورفع ذكرهم، وأعز مكانتهم، ثم بشرهم بسعادة خالدة دائمة فى الآخرة.. ومع هذا ظلوا عبادا مخلصين كل الإخلاص لخالقهم.

وهناك عباد آخرون من المؤمنين الصادقين المقربين بعبوديتهم وربوبية الله.. هؤلاء رفع الله قدرهم ومكانتهم واعتبرهم من صفوة الناس لأنهم أقروا بالعبودية لله.. «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما».

حتى الملائكة وهم عالم يتصف بالطهر والصفاء والقرب من الله تعالى، وصفهم الله بأنهم عباد شأنهم شأن البشر، قال: «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا..»..

إذا كان الله قد وصف صفوة خلقه وأحبهم إليه بأنهم عباد.. فهل يعقل أن ينال الإنسان العادى درجة أعلى من هذه الدرجة؟.. المنطق يقول بغير ذلك... وهذا ما سجله القرآن الكريم «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»،

وقال: «ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت..»

فالله تعالى وصف الإنسان بأنه من عباده، ولكنه لم يجعل عبادته تحقيرا له أو امتهانا لقدره بل على العكس من ذلك فقد أعلن تكريم هؤلاء العباد «ولقد كرمنا بنى آدم...».

ووصف العباد المؤمنين بصفتهم أنهم علماء، وأنهم على خلق قويم وأنهم أصحاب عزة وكرامة..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقرا ومقاما، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما...».

فالعبودية لله تكريم وإعزاز.. وتزكية للإنسان.

الإنسان حر:

والله الذى أسبغ صفة العبودية على الإنسان منحه حرية كاملة.

وكان أروع ما فى هذه المنحة، منحة الحرية، إذا جعل عبودية الإنسان لله فقط.. فهو مثلا ليس عبدا لرسول أو لنبى، على الرغم من أن هؤلاء من أقرب الخلق إلى الله وأعزهم عليه، ومع هذا فهم ليسوا أربابا للناس.

وقد سجل القرآن هذا المعنى على لسان جميع الرسل والأنبياء. فيوجه الله السؤال لسيدنا المسيح عليه السلام: «أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق..

ثم يقول: «ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به.. أن اعبدوا الله ربى وربكم...».

ولذلك يكون الله قد حرر الناس من كل ضروب العبادة، إلا عبادته هو..

فالإنسان ليس عبدا لرسول أن نبى، ولا لإنسان أيا كان قدر هذا الإنسان، وليس عبدا للطبيعة بكل قدراتها، وليس عبدا لمذهب أو فكر أو عقيدة أيا كانت هذه العقيدة، ولم يدع الله سبحانه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتعالى للإنســان أن يحدد إطار حريته لنفسه.. بل رسم لــه معالمها الكلية ثم تركه ليجتهد من خلالها..

فأولا منحــه صفة العــزة فى الأرض إذا كان مــؤمنا: «ولله العــزة ولرسوله والمؤمنين».

ثم منحه حريــة الإعتقاد: «لا إكراه فى الدين قــد تبين الرشد من الغى».

ثم طلب منه التأمل والتفكر واطلاق الطـاقات الخلاقة فيه: «وفى أنفسكم أفــلا تبصرون».. «إن فى خلق السموات والأرض واختــلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب».

ثم دعــاه ليسيح فى الأرض ويتأمــل فيهــا وينشــد رزقــه حيثما وجد: «فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور».

ثم جعلــه مسئــولا عن نفسه محاسبــا من قبلــه فقط: «يــا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم».

ويقول: فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها».

وفى نفس الـــوقت خفــف عنـــه الأعبـــاء: «لا نكلف نفســـا إلا وسعها...!».

وحتى اذا أخطأ فى حق نفســه، وظلمها فتح الله لــه بــاب التوبــة ليمسح بها خطاياه: «كتب ربكم على نفسه الرحمة...».

وفى مجال البحث العلمــى طلب أن يـــــدرس ويتــأمل، واعتبر العلماء من أكثــر النــاس قربــا لله، وحبــا فيــه وخوفــا منــه: «إنما يخشى الله من عباده العلماء...».

سيقول البعــض ماذا تعنى الفــروض من صلاة وزكــاة وصوم وحج.

المتأمل فى هذه الفرائض يجدها من أقــوى دعائم حرية الإنسان، فالصــلاة تؤكد أن العبــودية لله وحده وليس لغير الله، هــذا التأكيد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبدأ من الصباح إلى المساء.. فى كل وقت يعلن المصلى اسم الله وأنه أكبر.. وهذا يعنى أن كل المخلوقات أصغر وأقل.. ثم سجود وركوع لله وحده فإن سجد أو ركع لغير الله فقد كفر بالله وضيع بالتالى حريته..

والزكاة هى قسم من المال يقتطعه القوى والغنى من ماله الحلال ليساعد به أخا له أقل منه قدرة على الكسب، أو أضعف منه قوة.. وهذا لا يمس حرية الإنسان فى شىء بل يؤمنها..

والصوم، تهذيب وإصلاح للنفس ودعوة للتعاون مع الغير، وتحرر من سلطان شهواته.. والحج رحلة إلى الأرض التى يكر إليها الإيمان، وهى رحلة القادر فقط، وهى رحلة من القيود إلى الحرية..

أحرار عصرنا!! قد يعترضون على هذا الكلام بحجة أن إنسان اليوم يعيش عصر الحرية.. حرية أعلنتها الهيئات الدولية فى مواثيقها (كميثاق حقوق الإنسان) وسجلتها دساتير الدول.. سجلت حرية الدولة وحرية من يدخلها.. هذا عدا حرية الاعتقاد وحرية الكلمة وحرية التصرف..

لكن الواقع يكذب دعاة الحرية فى عصرنا، فلقد ابتلى أبناء القرن العشرين وهم أكثر أبناء القرون السابقة اعتقادا بحريتهم: ابتلى هؤلاء المساكين بضروب من العبودية التى لا تقل كثيرا عن عبودية أبناء غرب أفريقيا أو أبناء القوقاز أو أسرى الحروب.

فقد ابتلوا بقيود جديدة ذهبت بكل حريتهم.. والغريب فى الأمر أنهم رضوا بهذه القيود، وتخيلوها أساور من ذهب يزينون بها أيديهم.

هذه القيود سمى بعضها بالحدود الإقليمية، وسمى البعض الآخر بالدساتير والقوانين والمصلحة العامة، وأطلق على بعضها الديموقراطية، وعلى البعض الآخر الشيوعية و..و..و..

فالإنسان في عصرنا ليس له الحرية أن يخطو خلف الحدود والتي تسور دولته إلا بإذن من هذه الدولة، وبموافقة الدولة الأخرى، فهو معتقل داخل حدود دولته، ومعتقل في الدولة الأخرى، التي تطلق عليه اسم (الأجنبي).. هذا الاعتقال الدائم الذي يعاني منه أربعة بلايين إنسان. تآمرت قوانين دولهم على فرض قيود قانونية على حريتهم. فإذن الإنسان عبد مقيد إلى أرض محدودة.. وهو لا يستطيع الفكاك من قيده إلا بإذن من السلطة المقيدة ولفترة محدودة..

والعجيب أن الإنسان بعد أن يمضي فترة طويلة رهن هذا القيد تصبو نفسه إليه، ويزيد تشبثه به.. وبالتالي يتم الوفاق بين السيد والعبد..

والإنسان في عصرنا تستعبده الدساتير والقوانين.. وتوثقه بموادها ولوائحها.. فالدساتير وهي التي تنعقد لها السيادة على القوانين والنظم تقوم كالأسوار العالية حول قطعة من الأرض وقطاع من الناس، فتحدد لهم موقعهم من الأرض، وتفرض عليهم هوية وفكرا عاما، ثم تفرض عليهم سلطات ثلاث، واحدة تضع لهم قيودا قانونية؟، ثم تسلم هذه القيود السلطة التنفيذية، التي تقبض باسم القوانين على رقاب الناس، ثم تدخل هذه القوانين إلى دور القضاء لتفرض عليهم فرضا..

والاستعباد القانوني هذا يتفاوت من دولة إلى أخرى، ومن حاكم وآخر، وأشد القوانين استعبادا تلك التي تصدر من حاكم فرد، لأنه يصنع من القوانين قيودا محكمة ليخنق بها الشعب ويشنق حريته..

وقد كان (بول) امبراطور روسيا صريحا حين سأله الشعب عن الدستور فأشار إلى صورة وقال (هنا الدستور)..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والغريب فى الأمر أيضا أن الشعوب تستسلم لسلطان هذه القوانين وتخفض لها جناح الذل.. وذلك بحجة أن القوانين ـ وإن كانت مقيدة للحرية ـ إلا أنها بيدها الصالح العام.. ولو سألنا الشعوب عن آثار القوانين فى حياتهم لوجدناها حارسا أمينا لصالح الأقوياء، وسجونا وأغلالا فى أيدى الضعفاء فالقوانين فى عصرنا صنعتها طبقة من أصحاب المصالح لتخدم بها نفسها.. وللأسف يشترك فى هذا الموقف صانعو القوانين الاشتراكية. وخبازوا القوانين الرأسمالية..

والمصلحة العامة ..

عبارة جميلة ومصطلح يغرى بالخير، إلا أنها استعملت لقهر الأفراد، والتسلط عليهم، لأنها صدرت عن ارادة المجموع، وضغطت بشدة على حرية الفرد، وهنا تلعب أهواء السلطة دورها فتسجن ارادة الأفراد باسم المصلحة العامة.. ويضطر الجمهور الغافل عن حريته إلى التسليم بمتطلبات المصلحة العامة، وينسى حريته وحقوقه..

ونظم التعليم، ووسائل الإعلام يصنعها قوم، ليصنعوا منها فكراً طبيعيا يسلس به قيادة الشعب بحيث يكون عبدا للقوانين والأنظمة وأوامر ونواهى السلطة.. فالتعليم والإعلام يعملان فى عصرنا على تكبيل عقل الإنسان، وإفراغ ما تشاؤه السلطة فيه مستعينة فى ذلك بوسائل متجددة ومغرية ، الصحف والإذاعات والأفلام كلها تصب توجيهات السلطة فى الرؤوس وتستعمرها تماما..

هذه القيود مهما أطلق عليها الانسان من مسميات فإنها باجتماعها على إنسان القرن العشرين قد فرضت عليه أن يعيش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حبيســا بداخلهــا عبــدا لإرادتهــا .

الحل هو أن يسلم الإنســان بعبوديتــه لله ليكتسب من بعد ذلك كل حريته..

فإذا حددنــاه بإقليم أو قانــون. فإن هذه الحدود لن تنــال من الحرية الكبرى التى اكتسبها من ربــه.. لأنها منحة غالية ومنح الله لا ترد «بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان...».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الله والإنســـان

٤

قضيــة البعث من القضايــا التى عذب الكتــاب والفلاسفة أنفسـهم قديما وحــديثا فى البحث عنها، وعــذبوا الشعــوب معهم، وكــان ولايزال عـذابهم يدور حول سؤالين: لم نبعث.. وكيف نبعث..؟

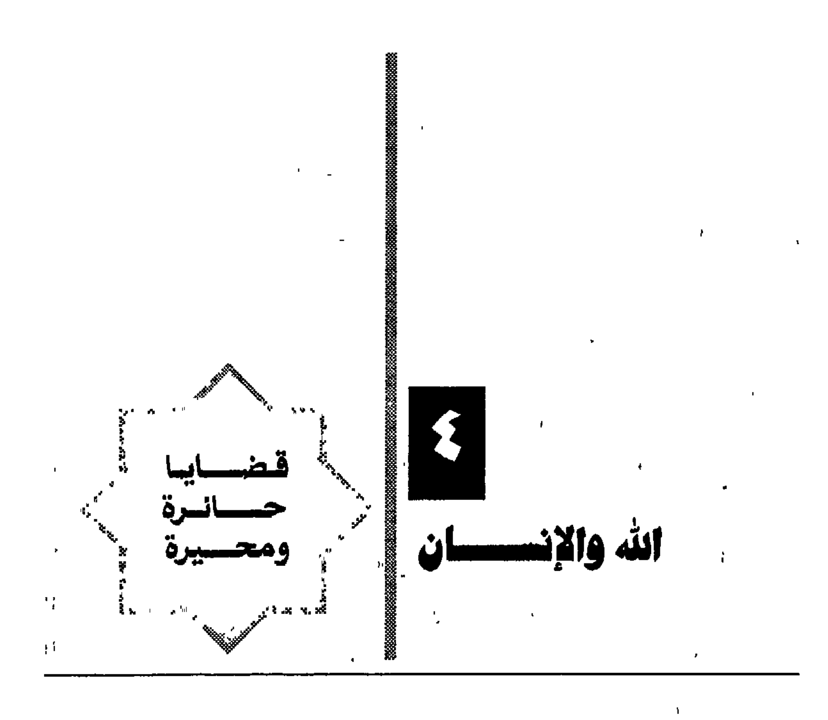
ولو أنهم تأملوا آيــة واحدة من الآيات الخمس عشرة التى تنــاولت قضيــة البعث لكفوتــا أمــرهم، ولكنــه الجدل.. والجدل العقيم، وادعــاء العلم ألقى بهم فى تيه لا حــدود له.. «يجادلــونك فى الحق بعد ما تبين كــأنما يساقون إلى الموت وهــم ينظرون».

ويسخر القــرآن منهم ومن إفلاس حججهم بقــوله «ومن النــاس من يجادل فى الله بغير علم ولا هــدى ولا كتاب منير، ثانى عطفه (أى متكبر) ليضل عن سبيل الله، له فى الــدنيا خزى ونــذيقه يوم القيــامة عذاب الحريق».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ولسوف نعمل جهدنا فى هذا البحث أن نعرض الآيات والأحاديث النبوية لتزيدنا ثقة وإيمانا بحقيقة البعث، وهى كفيلة بهزيمة أصحاب الحجج الواهنة.

ولقد وجدت فى كتاب «الله والإنسان» للأستاذ عبدالكريم الخطيب خير معين لى فى هذا البحث، جزاه الله عنا خير الجزاء.

يقول الكاتب فى مطلع حديثه عن البعث أن الموت هو الذى أثار فى الإنسان غريزة البحث عما بعد الموت، ولذلك شغل نفسه بهذه القضية حتى قبل ظهور الرسالات السماوية.. ولقد استعرض حالة الأمم والشعوب منذ آلاف السنين وكشف لنا عن مفهوم البعث وعن تصورهم له.. ولسوف نمر سريعا على شريط الأحداث الماضية.. ثم نعبر بها إلى عصر الإسلام..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البعث عند الفراعنة :

لقد كان للفراعنة حظ وفير واهتمام كبير بقضية البعث، بل أنهم شيدوا حضارتهم المتمثلة فى الأهرامات والمعابد من خلال إيمانهم بالبعث بعد الموت.. إلا أنهم كانوا مثار عجب فى تكفيرهم فقصروا الخلود على الذين لا يرتكبون الآثام، إن هؤلاء وحدهم هم الذين يحظون برحمة «أوزير» فيمنحهم الحق فى دخول حدائق السماء حيث الرخاء والأمن والسلام. أما الأشرار فإنهم لن يبعثوا أبدا بل يظلوا فى قبورهم يجوعون ويعطشون، وتسلط عليهم التماسيح.. ويتولى «أوزير» بنفسه الحكم على من له الحق فى الخلود أو من يترك للتماسيح، وعنده ميزان يضع فيه قلب الإنسان فى كفة ويضع فى الكفة الأخرى ريشة، ثم يصدر الحكم عليه.. ويشارك «أوزير» فى هذه المحكمة مجموعة من القضاة والمحلفين..

ولقد امتد هذا الحق ــ أى حق المحاكمة وإصدار الأحكام إلى الكهان فاتخذوا منها تجارة مربحة فمنحوا «صكوك الغفران» لمن يشترى منهم كتب الموتى» التى ستدفن معهم وتكون شفيعا لهم عند «أوزير».. ونكتفى بذكر ما تضمنه أحد كتب الموتى من أدعيته..

«سلام عليك أيها الإله الأعظم رب الصدق والعدالة.. لقد وقفت أمامك يارب وجىء بى لكى أشاهد ما لديك من جمال.. أحمل إليك الصدق.. أنى لم أظلم الناس.. لم أظلم الفقراء.. ولم أفرض على رجل حر عملا أكثر مما فرض هو على نفسه.. ولم أمت إنسانا من الجوع.. ولم أبك أحدا ولم أقتل إنسانا.. ولم أخن أحداً ..

أنا طاهر.. أنا طاهر.. أنا طاهر».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الديانة الفارسية:

أما الـديانة الفارسيـة المشهورة « الزرادشتيـة » فهى تقوم على أســاس أن الإنسـان لـه رسـالـة على الأرض، وأنـه إذا أدى هـذه الرسـالة على الـوجـه الأكمل كتب لـه الخلـود، وصـار من عـالم الملائكة فى الملأ الأعلى.. أمـا إذا قصر فإنه يبقى فى عالم الظـلام أبد الدهر..

وإن هنـاك معـركـة بين الخير والشر ستستمـر اثنى عشر ألف سنـة ثم تنتهى بـانتصـار الخير وأهلـه.. ولا يهتم أصحـاب هـذه الديـانة بجسد الموتى، فـلاهم يحتفظون به كما فعل الفـراعنة، ولا يحرقونـه كما فعل اليونانيون القـدامى، بل يتركونه لتأكلـه الطيور والكلاب.

وعند الهنود :

أما الهنود، فكان ومايـزال يؤمن معظمهم بتناسخ الأرواح، ولذلك فهم ينكرون البعث، أما العقاب والثواب فليسا فى جنة أو نار، ولكن فيما ستـؤول إليه حـال الـروح بعد أن تنتقـل إلى جسد آخـر من الحيوانات، فـالروح الطيبة تسكن حيوانا راقيا، أمـا الروح الخبيثة فتسكن حيوانا حقيرا..

والهندى يعيـش عمره فى شقاء لأنـه لا يدرى أيـن يحل جسده، هل سيحل فى حمار أو كلب أو دودة.

ولـذلك فالهنـود يفضلـون إحراق أجسـادهم بعد مـوتهم، وهم بهذا ينكرون فكـرة البعث من أسـاسها، وبـالتالى ينكـرون الثواب والعقاب.

ويرى «بوذا» أن السعـادة لا تتحقق إلا بإخماد شهوات الجسد وإنكار الـذات حتى يندمج الإنسـان فى المطلق ويتحقق اتحاد الفرد بالله وبهذا تستكمل سعادته..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأديان السماوية والبعث:

أجمعت الكتب السماوية على الإيمان بـالبعث، والحساب والجنة والنار..

الديانة اليهودية:

يقول المؤرخ الأمريكى «ول ديـورانت» أن أهواء اليهود لعبت فى التـوراة، وحولتـه إلى سجل يحكون فيـه الأحداث التى مـرت بهم، سواء أكـانت أحداثا سعيـدة أو بغيضـة لديهم، والتـوارة كتبت بعد مئات السنين من نزولها على سيدنا مـوسى، وكان الدافع الرئيسى لتدويـن التوراة أن الشعب اليهـودى شرع يرتد عـن عبادة «يهوه» (اسـم الله عن اليهود» إلى عبادة آلهة اجنبية.

وهذا يسمى بـالعهد القديم، أمـا العهد الجديد والمعمـول به إلى يـومنـا هذا فقـد دونـه « عـزرا » الكاهن قبل ميـلاد المسيح عليـه السـلام بـ٤٤٤ عاما ، ثم تلاه على قومـه فآمنوا به، وهو ما يسمى بسفر (شريعة موسى).

ويقـول ديـورانت عن نظرة اليهـود إلى البعث: (إن اليهـود قلما كانـوا يشيرون إلى حياة أخرى بعـد الموت، ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلـود، وكان ثـوابهم وعقابهم مقصوريـن على الحياة الـدينا، ولم تدر فكرة البعـث فى خلد اليهود إلا بعد أن فقـدوا الرجاء فى أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض).

هذا مـا قالـه ديورانت.. إلا أن الأستـاذ عبدالكـريم الخطيب رد عليه بقـوله: ونحن نخـالفه فى هـذا، لأن شريعة مـوسى لاشك أنها حملت صـــورة واضحـة عـن البعث إلى بنى اسرائيل، وكـذلك عن الحســاب وعن الجنـة والنار، وإن يكن «بنى اسرائيـل» قد عبثـوا بهذه الصورة فى عهـد من عهودهـم، فإنهم جددوا العهـد والتمسوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحياة الآخرة فيه كان أقرب شىء إليهم مـا فى شريعة موسى من الحياة الآخرة..

الديانة النصرانية:

يقول المؤلف لقد كانت مهمة المسيح عليه السلام حيال (خراف بنى اسرائيل) ـ كما كان يدعوهم ـ أن يبعث فى قلوبهم الصلدة المتحجرة قطرات من الرحمة والتعاطف والحب، أما بالنسبة للآخرة فكانت نذرها مدونة فى كتبهم لكنهم لا يعملون لها حسابا، فكان يذكرهم بها، ويستحثهم على عمل الصالحات..

ويذكر المؤلف أن السيد المسيح كان يبشر الصالحين بملكوت السماوات، ويحذر المذنبين من جهنم، فيذكر نصا ورد فى إنجيل متى (طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات، طوبى للحزانى فإنهم يتعزون، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى لأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله).

ويقول فى نص آخر من الآخرة (لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا من الجرى الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم).

خلاصة القول أن الديانة النصرانية تؤمن بالبعث والحياة الآخرة وأن المحسنين سيلقون جزاءهم، وأن الأشرار سيعذبون..

الإسلام والبعث :

نلاحظ ونحن نقرأ القرآن الجمع ما بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر فى معظم آيام القرآن.. «وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر».. «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر..».

بل يحذر القرآن وينذر الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، «قاتلوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر..».

ويعقب مؤلف كتاب «الله والإنسان» على هـذا بقوله (وهكذا نجد الإيمان باليوم الآخـر يقترن دائما بالإيمان بالله، حتى لكأن الإيمان بـالله لا يتم إلا إذا اتصل بـه إيمان بـاليـوم الآخـر).. ولـوددت أن الأستاذ الخطيب استغنى عن تعبير لكأن. لأن الأيمان بـاليوم الآخر ركن أساسـى من أركان الإيمان.. فى حين أحسن فى تعقيبه حين قال (الإيمان بـالله عقيدة ثمـرتها العمل بأوامر الله، واجتنـاب نواهيـه، وابتغاء رضـوانه فى الدار الآخـرة، «وإن الدار الآخـرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون».

ويحيلناالمؤلـف إلى آيات القرآن الكـريم التى شرحت لنـا قضية البعث تفصيـلا، كما كشفت لنـا عن الأفكار الخاطئـة التى كـانت تسيطر على العرب قبل الإسلام.. كيف عالجها بالمنطق والحكمة.

ينقل إلينـا القرآن الكـريم تساؤلات الكـافرين بيـوم البعث، كما نقل إلينا سخريتهم من حقيقة البعث:

«وقالـوا أئذا متنا وكنا ترابـا وعظاما أإنا لمبعـوثون».. «قل من يحيى العظـام وهى رميم».. أئذا متنا وكنـا ترابا ذلك رجـع بعيد».. «ويقول الإنسـان إئذا ما مت لسوف أخرج حيا».

هذا الإنكار والاستهزاء قوبل بالحجة الدامغة.

يقول الله تعـالى: «وضرب لنا مثـلا ونسى خلقه، قـال من يحيى العظـام وهى رميم، قل يحييها الـذى أنشـأهـا أول مرة وهـو بكل خلق عليم»... ثم يـذكـره بخلقـه الأول، «أو لا يـذكر الإنســان أنـا خلقناه من قبل ولم يك شيئا»..

ثم يسـوق الله تشبيهـات غـايـة فى الحكمـة والبـلاغـة لإقنـاع المنكرين: «قل يحييهـا الذى أنشـأها أول مـرة وهو بكل خلق عليم، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعقب المؤلف على هذا التشبيـه بقولـه (فالشجـر الذى ينضح ماء يملأ فروعه وأصولـه يتحول إلى نار موقدة، الماء يضير نارا»» ليس هذا التحـول فى طبائع الأشياء مـن الضد إلى الضد فيـه دلالة قاطعة على قدرة الخالق، ألا يقدر من يخلق هذا الشجر الأخضر أن يجعل من هذه العظام أجساما حية.

ويزداد الجدل فيـزداد التحدى، «وقالوا أئذا كنـا عظاما ورفـاتا أإنا لمبعوثون خلقـا جديدا؟!» هذا الإنكار يقابلـه رد من لون جديد: «قل كـونـوا حجـارة أو حديـدا، أو خلقـا ممـا يكبر فى صـدوركم، فسيقولون من يعيدنا، قل الذى فطركم أول مرة!..».

ويعقب المؤلف على هـذا التحـدى الكبير بقـولـه (هـذا الجواب يدعـوهم لأن يخرجوا جملـة من عالم الأحيـاء إلى عالم الجماد»)... «كونـوا حجارة أو حـديدا» أو أى شىء يكبر فى صـدوركم مسـافة بين الحياة وشبه الحياة.. فإذا صـاروا إلى هذه الكائنات المعنة فى الموات وظل السؤال كائنا فى كيانهم «سيقـولون من يعيدنا» ويكون الجواب «الذى فطركم أول مرة».

أسلوب آخر للإقناع :

أخذت سورة «الحج» بأسلوب جـديد فى الإقناع يحسن أن نضع النص بأكمله أمامنا ثم نتأمل الحكمـة منه: «يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث، فإنـا خلقنـاكم من تـراب ثم من نطفـة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقـة لنبين لكم، ثم نخرجم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتـوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعـد علم شيئا، وترى الأرض هـامدة فإذا أنـزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قديـر، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشرح لنا المؤلف طرفا من هذه الآية فيقول: لقد دار هذا التراب في دورات الخلق والتكوين، وتقلب في أطوارها، ترابا، ثم نطفة، ثم علقة ثم مضغة، ثم جنينا ثم طفلا ثم تدرج في مدارج الحياة من الصبا إلى الشباب إلى الاكتهال والشيخوخة..

ثم يتساءل: هل يقع في عقل عاقل أن ينكر عودته من هذا التراب إلى الحياة مرة أخرى، لقد كان ترابا فصار إنسانا عاد إلى التراب، فماذا يمنع أن يصير إنسانا مرة أخرى.

وتتضمن الآية صورة أخرى عن الأرض الميتة الهامدة يصب فيها الماء فإذا الحياة تموج فيها، وإذا الجنة تخرج من كل فج منها؟.. فمن أخرج من التراب بشرا سويا؟! ومن أخرج من الأرض ثمرا جنيا ؟! ذلكم هو الله..

ويذكر الكاتب مجموعة من الأحداث التي وقعت في الماضي أوردها القرآن الكريم ليؤكد للناس أن البعث أمر ممكن عملا فيضرب لنا ثلاثة أمثال:

يقول الله تعالى: « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثت، قال لبثت يوما أو بعض يوم، قال بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير».

ويعقب المؤلف بقوله : إن الله قد حفظ أجساد الإنسان والحيوان والجماد مائة عام دون أن تتحلل، في حين أنها تفسد وتتحلل بعد ساعات في حياتنا العادية، فالذي حفظها مائة عام يمكن أن يحفظها مئات الألوف من الأعوام، وهو القادر على إعادتها في الصورة التي يراها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويردد الكاتب تساؤلات خليل الـرحمن ابراهيم عليه السلام من حقيقة البعث «وإذ قال ابـراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن، قـال بلى ولكن ليطمئن قلبى، قال فخـذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهم جـزءا، ثم ادعهن يأتينك سعيا، واعلم أن الله على كل شـيء قدير».

ويعقب الكـاتب بتساؤل: (وهل مـا يقع لأجســاد الموتى شـيء غير هذا؟! فبعث هذه الأجساد مشابه تماما لبعث الطيور .

وآخـر مثل يضربه مـاوقع لأصحـاب الكهف الذين أمـاتهم الله ٣٠٩ من الأعوام ثم بعثهم وكلبهم أحياء.

البعث يوم القيـامة يكون بالـروح والجسد معا: وليس بـالروح وحـدها كما زعم بعض الفـلاسفة.. وفى هـذا يقول الله تعـالى: «كما بدأنا أول خلق نعيده..».

يقول: «والله أنبتكم من الأرض نباتـا، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا».. وبقوله: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى».

وفى الحديث القدسى: (أعددت لعبـادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

فلفظ العبد يعنى الجسد والروح..

الغرض من البعث:

البعث حدده القـرآن الكريم فى مـواضـع كثيرة، فذكـر منها: «إن الساعـة آتية أكـاد أخفيها لتجزى كـل نفس بما تسعى».. «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى».

فالمقصود من البعث هو محاسبـة الإنسان على ماقدمت يداه فى الحياة الدنيا، ثم يتم القضاء فى أمره إما جنة أو ناراً أبدا.

البعث للجميع فى وقت معلــوم، سيبعث الناس جميعـا يـوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيامة سواء منهم من عـاش منذ آلاف السنين أو من ستقوم عليه القيامــة.. يقول الله تعالى: «فـاستمع يوم ينادى المنـادى من مكان قريب، يـوم يسمعون الصيحة بالحق، ذلك يـوم الخروج، إنا نحن نحيي ونميت وإلينـا المصير، يـوم تشقق الأرض عنهم سراعـا ذلك حشر علينـا يسير».. ويقــول: «فإنما هى زجـرة واحــدة، فإذا هم بالساهرة».

فالبعث سيكون للناس جميعا وفى وقت معلوم.

يرد القرآن على هذا التسـاؤل: «وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيـه إلا أمم أمثالكم، مـا فرطنا فى الكتـاب من شىء، ثم إلى ربهم يحشرون».. ويقـول فى مــوضـع أخـر «وإذا الــوحـوش حشرت».

ويقول لنا الإمام أحمد حديثـا رواه أبوذر قال: رأى رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم شاتين تتنطحــان فقال: يـا أبا ذر هل تـدرى فيما تتنطحان؟ قال لا، قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما.

إلا أن الحيوانـات كلها ستصير يـوم القيامـة إلى تراب، ويتمنى الظالمون والكـافرون مصير الوحـوش والكلاب والقرود ويقـولون «ياليتنى كنت ترابا».

ويلى البعث الحســاب.. ويلى الحساب الحكم العـادل بالجنـة أو النار.

«وكل إنســان ألزمنـاه طائره فى عنقـه، ونخرج لـه يوم القيـامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥

الإنسان بين العــــذاب والرحمــة

كيف نعيش بلا رحمة، والرحمة سكينة العانى وحلم اليائس. وغوث الملهوف ودواء الموجع.. وشفاء النفوس من كل آلامها؟؟

ومن يكـون الـرحيم الـذى تسع رحمتـه الإنســان والحيوان والطير!!

إنه «الرحمن الرحيم».

والـرحمن الـرحيم منح رسلـه صفـة الـرحمة وخص محمداً آخر هؤلاء الرسل بأنه رحمة مهداة للإنسانية وكل الكائنات الحية.. فقال عنه!!

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

ووصف النبى نفسه بقـوله (إنما أنـا رحمة مهداة) ثم طـالب النـاس جميعا بـأن يكونـوا رحماء بينهم.. «محمـد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...»

يـدعــو رسـول الله النــاس جميعـا للتراحم بقــولـه (الـراحمون يرحمهم الله، ا رحموا من فى الأرض يـرحمكم من فى السماء).

ووصف نبيه بأنه رحمة وأوصى الناس بالرحمة.. فلم تقـدم القسوة والعـذاب على المغفـرة والنار على الجنـة.. فى حين أن الله كتب على نفسـه الرحمة «كتب ربكم على نفسـه الرحمة».


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٥

الإنسان بين العذاب والرحمة

الرحمة للجميع باستثناء المشركين:

« إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

على ضوء هذه القاعدة يمكن أن نقول أن رحمة الله تبسط ظلالها على كل الناس باستثناء من يصر على رفض هذه الرحمة، وبإنكاره من يملك منحها.. فالذى يشرك بالله ينكر الله، وبالتالى فهو ينكر رحمته وعطاءه.. وتكون النتيجة أنه يحرم من الرحمة والمغفرة ويستحق العقاب.

سيقفز سؤال، وهل يعفو الله عن القتلة واللصوص والزناة والمرتشين، ولاعبى القمار؟؟

الجواب تكفل به خالق الإنسان، والذى يعلم خبايا نفسه، وخلجات قلبه، ولنستمع لهذا النداء الرائع من الخالق الرحيم «قل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يـا عبادى الذين أسرفوا على أنفسـهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم.

هذا الإعلان يظل كل الناس بـاستثناء الذى يصر على الكفر، أو يصر على لإثم. ويوافق هذا البيـان إعلان آخر من رسول الله حين قال (كلكم يـدخل الجنة إلا من أبى) فلما سئل عن وصـف من يأبى دخول الجنة قال (من أطـاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى)، وطاعة الرسول من طاعة الله، «من يطع الرسول فقد أطاع الله».

ولقـد كان من حكمـة الله أنه امتحن صفـوة خلقه وهم الأنبيـاء والـرسل فى قضـايـا منوعـة، ثم هيأ لهم فـرص النجـاح، حتى إذا ما امتحن الناس من بعدهم أمكنهم علاج أخطائهم.. ولنضرب أمثلة لذلك :

● الأب الكبير آدم عليه السلام يتعـرض لإغراء الشيطان فيأكل من شجـرة محرمة، ثم يعـاقب بـالخروج من الجنة، ثم يتـوب الله عليـه، «فتلقى آدم من ربـه كلمات فتـاب عليـه، إنـه هـو التـواب الرحيم».

● وتعرض لنـا قصة نبى جمل الله صـورته، فتغرم بـه امرأة عـزيـز مصر، وتحاول بكل وسـائل الإغراء والقهـر أن تستـدرجـه لـلإثم، فيعتصم الـرجل بـالله، فتأتيـه النجـدة: «وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكـن من الجاهلين، فاستجاب لـه ربه فصرف عنه كيدهن، إنه هو السميع العليم».

●ويتعرض سيـدنا موسـى لمحنـة من لون آخـر، فحينما تدخل بين أحد أتبـاعه وأحد خصومـه ولكز خصمه فوقع قتيـلا، استجار بالله وألح فى طلـب العفو فاستجيب لـدعائه، «فـاستغاثـه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكـزه موسـى فقضى عليه، قال إن هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال ربى إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم».

● وذكر لنا القرآن الكثير من المواقف التى تولى الله فيها تصحيح مواقف لرسول الله محمد منها قصة عبدالله بن أم مكتوم، «عبس وتولى، أن جاءه الأعمى... » ومنها الإفراج عن الأسرى فى أول معركة، «عفا الله عنك، لما أذنت لهم ... ».

فالمثل البشرية العالية امتحنها الله فى مواقف متنوعة، ثم لقنها وسائل الإصلاح، وأدبها أدباً عاليًا ، ثم عفا عنها وأفسح لها باب الرحمة..

والمطلوب من الإنسان إذا ابتلى بالخطأ، أن يعمل على إصلاح نفسه وتقويمها مستعينا بوصايا القرآن، ونصائح الرسول، ثم يتوب توبة صادقة.

ولكن الذنوب ليست على درجة واحدة، بل هى تتدرج من أعلى إلى أسفل.. فالكبائر كالقتل وشرب الخمر والزنا والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل والربا والنميمة.. تمثل قمة الآثام.. ثم يأتى بعد ذلك اللمم أى الذنوب العارضة كاللغو فى القول والكذب الأبيض (كما يقولون)، وقد وعد الله الناس بأنه سيغفر لهم الذنوب الصغيرة إذا تجنبوا الذنوب الكبار، «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما» ثم قال « ولله ما فى السموات والأرض ، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم، إن ربك واسع المغفرة»، ثم أضفى الرحمة على الجميع لمن تاب وآمن وأصلح.

ثم إن الذنوب صنفان، ذنوب يقترفها الإنسان فى حق ربه، وذنوب يقترفها فى حق الناس.. ولكل منهما شروط فى التوبة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذنـوب التى يقترفهـا الإنسان فى حق ربـه شروط التوبـة فيها ثلاثة: ترك المعصية والإقلاع عنهـا ثم الندم على ما ارتكبه منها، ثم العزم على عدم العودة إليها.. هـذه الشروط الثلاثة ضرورية لقبول التوبـة من الذنـوب التى ترتكب فى حق الله، من هـذه الذنـوب ترك الصلاة، أو الحج للمقتدر، أو الصوم.. أمـا الذنوب التى تقع فى حق الناس، فلها أربعة شروط حتى تتحقق التـوبة، الشروط الثلاثة التى ذكـرنـاهــا.. أمـا الشرط الـرابع فهـو أن يبرأ من حق صـاحبهـا.. فلو سرق مالا فعليه أن يتوب إلى الله تعالى ثم يرد المال إلى صاحبه، وإن كانت غيبة استغفر منها ثم استحل المجنى عليه..

ولكن ماذا فى العودة إلى ارتكاب الذنـوب بعد التوبة والاستغفار والندم؟؟؟

حديث رسـول الله يبشرنا بأن الذنوب مهما بلغ كمهـا أو كيفها يمكن أن تطوقهـا التوبة ، يقول الـرسول راويا عن ربـه (لو بلغت ذنوب عبدى عنان السماء ثم استغفرنى غفرت له).

إلا أن هناك فـرقا بين مذنـب مصر على مواصلة الـذنوب، وبين مذنب يرتكب الإثم ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب دون اصرار..

لم يترك هذا الموضوع دون إيضاح، فقد تنـاولت الآيات القرآنية كلتا الحالتين..

يقـول الله تعالى: «والـذين إذا فعلوا فـاحشة أو ظلمـوا أنفسـهم ذكـروا الله فـاستغفـروا لـذنـــوبهم، ومن يغفـر الـذنـوب إلا الله، ولم يصروا على مـا فعلوا وهم يعلمـون». فـالمغفـرة مقترنة بعـدم الإصرار على ارتكاب الذنب..

وتوضـح آية أخـرى هذا المعنى، «والذين يعملون السـوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم...».

والجهالة هنا تعنى عدم الإصرار والغفلة..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتارك الصلاة الذى يصر على تركها، والزانى الذى يصر على الزنا، والقاتل وشارب الخمر ولاعب الميسر الذى يصر على جرائمه يقفل على نفسه أبواب الرحمة..

التشجيع على التوبة :

لقد شجع الله الإنسان على المبادرة بالتوبة، ويسر له الوسائل، واستحثه على عدم اليأس والقنوط « ولا تيأسوا من روح الله...» وقال « ولا تقنطوا من رحمة الله...». بل إنه أعلم الإنسان أنه سيخطىء فى حياته مهما كان تحوطه، ومهما كانت شخصيته.. يقول الحديث القدسى عن الله تعالى (لو لم تخطئوا لأتيت بقوم يخطئون فيستغفرون فأغفر لهم)، ويقول الحديث النبوى (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

بل إن الله تعالى لقن الإنسان بعض العبارات التى يقولها ليفتح له أبواب المغفرة والرحمة « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»..ويلقن نبيه عبارات لتعينه على التوبة، «وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين».

ومن وسائل التشجيع على التوبة والعمل الصالح أن الله جعل الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون». وزيادة فى التشجيع فإن الرسول فرق بين الإقدام على الحسنات والشروع فى السيئات، فشجع على الأولى، وخفف من عقوبة الثانية.

قال فى حديث متفق عليه: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها وفعلها كتبها الله عشر حسنات إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) .

ومن التشبيهات الرائعة الذى ذكرها رسول الله والتى يصور لنا من خلالها مدى حرص الله على توبة عباده، هذه القصة التى رواها لنا الرسول (كان فيمن قبلكم رجل قتل تسة وتسعين نفسا، قال من أعلم أهل الأرض، فدل على راهب ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال:لا؟ فقتله فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس هل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، لأن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك على صورة آدمى فجعلوه بينهم - أى حكما - فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.

ويحدثنا الرسول عن ربه (يقول الله عز وجل، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة، ومن لقينى بقراب الأرض خطايا لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة).

ولقد أفضى رسول الله إلى معاذ بن جبل بحديث بالغ الأهمية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نذكـره بنصه (يامعاذ، قـال معاذ لبيك يا رسـول الله وسعديك، ثم صمت الـرسول ونـادى معـاذا ثـانية يـا معـاذ، فأجـابه لبيك يـا رسول الله وسعديك.. ثم نـاداه للمرة الثالثة يا معـاذ، فأجابه لبيك يـا رسول الله وسـعـديك.. ثم قال الـرسول: مـا من عبد يشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النـار . قـال معـاذ ، يـا رسـول الله أفـلا أخبر بها النـاس فيستبشروا . قال الرسول : إذاً يتكلوا).

وظل معاذ كاتما لحديث رسول الله ولم يبح به إلا قبل موته..

ولكن هل يعنـى هـذا الحديـث أن من ينطق الشهـادتين يجور ويظلم ويسفك الـدمـاء ويغير على الأعراض؟؟ مستحيل أن يكـون هذا مفهوم الحديث!!

ولكن مفهـوم الحديث أن جميع الجرائم بـاستثناء الشرك بـالله لا يقفل باب الـرحمة أمام مـرتكبيها.. لأن اقفـال بابَ الـرحمة قد يدعو الإنسـان للمزيد من الجرائم والمزيد من الآثـام.. وهذا يشكل خطرا على أمن النـاس وسلامتهم.. فالقـاتل الذى يتـوب ثم نسد أمـامه بـاب الرحمة قد يكـرر جـرمه دون مبـالاة.. وكـذلك شأن السارق والزانى..

إن فتح باب الرحمة أمام الجنـاة فيه رحمة بالجانى وفيه رحمة بالمجتمع ..

مصادر الذنوب :

لقد عـرف الله الإنسان بأعـدائه الذين يـدفعون بـه إلى المعصية وارتكاب الذنوب .. وكان فى طليعـة هؤلاء الأعداء نفس الإنسـان، ثم الشيطان ثم أعداؤه وأصدقـاؤه من بنى آدم. فقال عن العدو الأول «إن النفس لأمـارة السـوء» .. فهى التى تـدفعـه لـلإجـرام والبغى والكفر والجحـود .. ولذلك حـذره منها، ودعـاه تطهيرها وتـزكيتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«ونفس وما سواهـا فألهمها فجورها وتقواها ، قـد أفلح من زكاها وقد خـاب من دساها» . ثم وعـد النفس المزكاة بالمستقبل الـزاهر المنير «يـا أيتهـا النفس المطمئنة ارجعـي إلى ربك راضية مـرضيـة فادخلى فى عبـادى وادخلى جنتى» . وحتى يتم الانتصار على النفس وتـزكيتها لابـد من إضافـة خير جديـد كل يوم، وتجنب شر، وقـد وضح الله لنـــا أسبـــاب الخير، كما بين لنـــا مــــواطن الشر، كل الاخلاقيات من صدق وامانة ووفـاء وكرم ونجدة، كلها من اسباب الخير، وعدم العدوان على نفس الغير وماله تزكية وتطهيرا للنفس..

فالنفس تحتاج إلى جهاد ومعانـاة حتى تزكو وتطهر، ولقد لفت الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلى مـدى أهمية جهاد النفس بعد عـودته من معـركة حربيـة مجهدا : قال لأصحـابه (عـدنا من الجهـاد الأصغر إلى الجهـاد الأكبر فظن أصحابـه أنه يعـد لمعركـة حربيـة أكبر فسألوه في لهفة : ومـا هو الجهاد الأكبر يـا رسول الله قال: جهاد النفس).

ولقـد وصف الله النفس بأنها كثيرة الأمـــر بـالمنكـر قـال : «إن النفس لأمـارة بـالســوء». والمطلـوب من الانسـان أن يقـابل هـذه الأوامر الملحة بالسوء إلى الاستجابة لأوامر الخير والمعروف..

ولقد أبـدع عمر بن الخطاب وهـو يصف دور النفس فى الإغراء، كما رسم لنا اسلـوب المقاومة، قـال عمر بن الخطاب (اقعـدوا هذه النفوس عن شهـواتها فإنها نزاعة إلى شر غايـة، إن هذا الحق ثقيل ولكنـه مرئ، وإن البـاطل خفيف ولكنه وبىء، ورب نظـرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا ثقيلا).

والعدو الثانى الشيطان، والشيطان مخلوق خفى «إنه يراكم هو وقبيلـه من حيث لاترونهم »، وقـد ذكرت لنـا أوصافـه، وصفاتـه، وتـاريخه الـذى بدأ مع بـدايـة خلق الإنسـان، كلها مـوضحـة فى

القـرآن.. فتاريخه يبـدأ بعصيـان الله وإعلان الحرب على الإنسـان «وإذ قلنا للملائكة أسجـدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمـر ربه، أفتتخذونـه وذريته أوليـاء من دونى وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلا».

وقد أعلن الشيطـان معركته ضـد الإنسان اخـذا بكل الاسباب، مستغلا جوانب الضعف فيه، وقـد ذكر الله فى كثير من آيات القرآن أساليب الشيطـان ومداخلـه، «.. لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعـن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد اكثرهم شاكرين».

وقد كشف الـرسول عليـه السلام عن مـدى تغلغل الشيطان في حيـاة الإنسـان، وبين وسيلـة طـرده بهذا التشبيـه الـدقيق (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقـوا مجاريه)، والدم يقوم بتغذية الإنسـان وينتشر في كل أجزاء الجسم، كذلك الشيطان فإنـه ينتشر فى كل أرجـاء النفس، يحرض، ويغرى، ويـوسـوس، ويثير الفتن والقـلاقل، ويشـارك فى كل الآثام. يشـارك القـاتل فى القتل، والـزانى فى زناه، وشـارب الخمر فى كئـوسه، «إنما يأمـركم بالسوء والفحشاء ..»، الشيطان يعـدكم الفقر ويأمركم بالفحشـاء»، إنما يـريد الشيطـان أن يـوقع بينكم العـداوة والبغضاء فى الخمـر والميسر»..

ولقد بين الله للنـاس وسائل الجهـاد ضد الشيطـان، وكان اولها اعـلان الحرب عليه «الشيطـان لكم عـدو فـاتخذوه عدوا» ثم ذكـر الانسـان بأن عداوة الشيطان بـدأت مع خلق الأب الأول آدم، أنـه حاول فتنـة هذا الأب: «يـا بنى آدم لايفتننكم الشيطـان كما أخرج أبويكم من الجنـة»، ولأن الشيطان قوى وضـار فى عداوته أوصـانا الله بأن نستعين عليه بقدرة الله مع المجاهدة الدائمة.. «فإما ينزغنك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الشــيطان نزغ ، فاســتعذ بالله ... » .

بل علمنا كيفيــة الاستعاذة بــالله من الشيطان : «قل أعــوذ برب الناس ، ملك النــاس ، إله الناس ، من شر الوســواس الخناس ، ..» «قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق، ..».

ولفت نظرنا بشدة إلى أن اغفال جــانب الله، والتهاون فى مداومة ذكــره، يعنى السقــوط فى قبضــة الشيطــان، «ومن يعش عن ذكــر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين».

وكانــت المفاضلة فى منتهــى الوضــوح، فإما أن يعبــد الشيطان، وإما أن يعبد الله، «ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم».

ولقد ضمن الله للإنسان أن كيــد الشيطان وجبروته لا يمكن أن ينال من الإنسان الصــالح.. «وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله...» وقال «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون».

العدو الثالث ، الانسان :

الأخوة بين النــاس باعتبــارهم ينتمون إلى أب واحــد وأم واحدة أثبتهــا الله فى كتابــه، «يا أيها النــاس إنــا خلقناكم من ذكــر وأنثى، وجعلناكم شعــوبا وقبــائل لتعارفــوا، إن اكرمكم عنــد الله أتقاكم»، وهذه الأخــوة ضرورة للتعايش والتعاون لصالح الإنســانية، بغض النظــر عن الانتماء العقــائدى، لكن الله تعــالى آثــر المؤمنين بأخــوة خــاصة تستمــد قوتها من الله تعــالى «واعتصموا بحبل الله جميعــا ولا تفــرقــوا، واذكــروا نعمــة الله عليكم إذ كنتم أعــداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخــوانا..» «والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض..».

ولكن الإنسان تأبــى على الأخوة العامــة، فأغار على أخيــه قتلا وظلما وجــورا وعدوانــا، وحتى الطائفــة المؤمنة لم يسلم الأمــر من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقـــوع تظـالم فيما بينهم، «وإن طـــائفتـــان من المؤمنين اقتتلـــوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله..».

ومــا من ظلم أو قتل أو سرقـة أو زنا إلا وفيـه طـرفان، طـرف معتد وطرف معتدى عليه.

ومهما فعل الإنســـان من خير، ومهما بـذل من مال، وأيـا كـان مركـزه أو سلطانه فإنـه سيتعرض لعدوان الإنســان، حتى الأنبياء والرسل لم يسلمـوا من هذا العـدوان.. وعدوان الإنسان قـد يكون باليـد أو باللسـان أو بالهمـز واللمز.. أو الغيبة والنميمـة.. وما على الإنســان الصـــالح إلا الصبر على العـدوان والتحمل مـا دام ذلك فى مقـدوره، وما دام الأمـر لا يمس دينـه ووطنه وشرفـه وحقه، فقـد وجب عليه دفع العدوان بكل وسيلة.

يقول رســول الله (من مات دون عرضـــه فهو شهيـد، ومن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مـات دون حقه فهو شهيد)، ولقد حذر الله ورسوله من عدوان الناس وبغيهم..

قال رسـول الله (إذا التقى المسلمان بسيفهما فـالقاتل والمقتول فى النار، فلما سئل وما ذنب المقتول، قال لأنه كان حريصا على قتل صاحبه)

وقال عن الزنـــاة والقتلة (لايزنى الزانى حين يـزنى وهو مؤمن، ولا يقتل النفس حين يقتلهـا وهـو مؤمن، ولا يسرق الســارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).

وعداوةالإنســـان لأخيه الإنســان لا تقتصر على حياتنـا القائمـة ولكنها قـد تمتد إلى الحيـاة الثانية.. فقـد صور لنـا القرآن الصراع الـذى سينشب بين أصـدقـاء الســوء والمتـآمـرين وأحـلاف الشر، «الأخـــلاء يـــومئـــذ بعضهم لبعض عـــدو إلا المتقين » ، كما بشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتعاونين والمدافعين عن الحق والخير بأنهم سيجتمعون مع بعض فى جنة ممتعة «ونزعنا ما فى صدورهم من غل، إخوانا على سرر متقابلين».

هذه العداوات الثلاث، عداوة النفس، وعداوة الشيطان، وعداوة الإنسان، تعمل جاهدة على إفساد حياة الناس دنيا وآخرة.. والإنسان العظيم هو الذى يسجل انتصارا فى كل معركة تعرض له.. وحتى إذا أصيب بهزيمة فلا ييأس ولا يقنط، ولكن يكر ثانية وثالثة إلى أن يحقق النصر الأخير.

لمتسائل أن يقول.. إن الله وصف نفسه بالشدة كما وصف نفسه بالرحمة، وخلق النار كما خلق الجنة.. ووصف الرسول بأنه نذير كما وصفه بأنه بشير.. فلم نزف للناس بشريات الجنة، وندع نذر العذاب؟؟

الجواب على هذا تكفل به القرآن الكريم «إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وإن ربك لشديد العقاب» .

وأوصى الإنسان بأن يسأل الله الرحمة ويعوذ من العذاب، «ادعوه خوفا وطمعا، إن رحمة الله قريب من المحسنين» .

ونختم حديثنا ببشرى الرحمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦

هل خلقنا الله أم الطبيعة ؟

إلى الذين ينكرون الله....
وإلى الذين ينكرون الرسالات والرسل...
وإلى الذين ينكرون اليوم الآخر...
إليهم جميعا هذه المواجهة العلمية...

لقد تجرأ نيوتن على الله الذى منحه قدرا من العلم فقال (إنه لاوجود لإله يحكم النجوم).

وتجرأ هيوم على الإله فانكره وتحداه (لقد رأينا الساعة وهى تصنع فى المصانع، ولكننا لم نرى الكون وهو يصنع، فكيف نسلم أن له صانعا).

وتجرأ لينين وأعلن فى خطاب جماهيرى (إننا لانؤمن بإله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين، والبورجوازيين لايخاطبوننا باسم الإله إلا إستغلالا، ومحافظة على مصالحهم).

وشارك فى هذا الجحود والإنكار عشرات من رجال العلم والفلاسفة كفرويد، وداروين، وهكسلى... وتبعهم كثير ممن اختلط عليهم الفهم... وللأسف تتلمذ على أيديهم ببغاوات شرقية قامت بترديد أصداء كفرهم وجحودهم. وكان شرقنا فى غلبة من أمره فهو مكتوف الأيدى بالسلاح، معتقل الفكر تحت وطأة الولاية الفكرية للسيد الأبيض، حتى إذا أدركته اليقظة الكبرى رفس الإستعمار بقدمه، ثم بدأ يطعنه بقلمه. فكان الطعان بكتاب.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

وصاحب هذا الكتاب (الإسلام يتحدى) رجل من باكستان هو وحيد الدين خان، والذى يسر لنا أمره وحققه رجل من مصر وهو الدكتور عبد الصبور شاهين.. وقد شاركا بجهد رائع فى معركة الطعان بالقلم. ويا ليت داروين، ولينين كانا على قيد الحياة ليشاهدا معركة التحدى وقد تصدى لها علماؤنا بكل بسالة وبطولة.. وكاتبنا يحاول أن يدفع بالحجج العلمية والبراهين، وأقوال العلماء والفلاسفة المعاصرين، تخاريف زعماء الإلحاد والمروق، الذين أضلوا زماننا، وأفسدوا معتقدات شبابنا.. فصادر حججهم بعلم النفس، وبعلم الطبيعة، وبعلم الفلك.. حتى أجهض كل دعاواهم..

فمثلا : هو يرد على عبّاد الطبيعة الذين يردون إليها الأمر فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل شيء، ويرون أن الحوادث تحدث طبقا لقانون الطبيعة، وبالتالى لاحاجة لأن نفترض لهذه الحوادث إلها!!. إنه يرد عليهم بمثل بسيط عن (البيضة والكتكوت) قال: إن الكتكوت يعيش داخل قشرة البيضة القوية، ويخرج منها بعد ماتتكسر، وكان الإنسان القديم يؤمن بفطرته بأن الله أخرجه، ولكننا شاهدنا اليوم بالمنظار أنه فى اليوم الحادى والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت، يستعمله فى تكسير البيضة، ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة.

ثم إن هذه المشاهدة أبطلت مايقول: إن المعارضين يقولون الفكرة القديمة القائلة بأن الله يخرج الكتكوت من البيضة، وإن خروج الكتكوت من البيضة، جاء نتيجة لتفاعل استمر واحدا وعشرين يوما.. ويرد عليهم بقوله: إن السبب الحقيقى سوف ينجلى لأعيننا حين نبحث عن العلة التى جاءت بهذا القرن ؟ العلة التى كانت على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج لهذا القرن ليخرج من البيضة!!.

ثم يتعقب الذين ينادون بضرورة الدين، ولكنهم يتصورون الدين بدون إله، ويستشهدون بالبوذية التى تؤمن بالدين ولكنها لاتؤمن بالله.. ويضع لهؤلاء تصورهم فيقول: إن الدين الذى يصلح لهذا العصر يلزم أن يكون مثل البوذية، فإن إله العصر هو (مجتمعه وأهدافه السياسية)، ورسول هذا الإله هو البرلمان الذى يوجه الشعب، ومعابد هذا الإله العصرى ليست المساجد أو الكنائس، وإنما هى المصانع الكبيرة والسدود العظيمة.

ويرد الرجل على هؤلاء المتخبطين بقوله: أن أكبر دليل على وجود الله هو مخلوقه، هذا الذى نجده أمامنا، وأوثق ماعلمناه من حقائق الطبيعة يدعونا إلى الإيمان بأنه لاريب أن لهذه الدنيا إلها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحدا، ونحن لانستطيع أن نفهم أنفسنـا وأن نفسرها مجردين من الإيمان بالله.. (الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير)..

سأخلق إنسانا !!

وسخـر عـالمنـا من (هكسلى) وهـو أحـد علماء البيـولـوجيـا المشهـوريـن حين قـال: (ائتـونى بـالهواء، وبـالماء وبـالأجـزاء الكيماويـة، وبالـوقت وسخلق إنسـانـا)، فيرد عليـه ببساطـة (إن هكسلى نسي أو تجاهل، أنـه بتقريـره احتياجـه إلى الماء والأصول المادية ينفى زعمه من تلقاء نفسه)..

وحتى يقتل افتراءات هؤلاء العلماء يـدفع فى وجوهـهم بعلماء من مستواهم العلمي، فيقـرع الحجة بالحجة فهو ينقـل إلينا رأى عالم الطبيعة الأمـريكي (جورج دايرل ديفيس) : (لو كـان يمكن للكون أن يخلق نفسـه فـان معنى ذلك أنـه يتمتع بأوصـاف الخالق، وفى هذه الحالـة سنضطر لنـؤمن بأن الكـون هو الإله، وهكـذا ننتهى للتسليم بوجود الإله، ولكن إلهنا هـذا سوف يكون عجيبا وماديا فى آن واحدا!! إننى أفضل أن نؤمن بـذلك الإله الذى خلق العالم المادى وهو ليس بجـزء من هذا الكون، بل هو حـاكمه، ومدبره، ومـديره، بدلا من أن أتبنى هذه الخزعبلات)..

قضـية الفضـاء :

ثم يسبح بنا الكاتب فى أجـواء الفضاء ليكشف لنا بعض أسراره لنتأمل عظمـة الله وقدرته.. وأن هـذا الكون يستحيل أن يكـون من خلق الطبيعة أو انه تشكل بالصدفة..

يقول: إن علم الفلك يدلنـا أن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحـار فى الدنيا كلها، وأن القليل من هـذه النجـوم يصغر عن حجم الأرض، أمـا معظمهـا فيكبر الأرض ملايين المرات.. وحاول الـرجل أن يأخذنا فى رحلة فضـائية ويدور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنـا حول الكون فجمعنا فى طائرة خيالية تسير بسرعة ١٨٦,٠٠٠ ميل / ثانية أى ٦٦٩ مليونا و٦٠٠ألف ميل فى الساعة.. هذه الطائرة سوف تدور حول الكون فى ألف مليون سنة..

ويقول : والعجيب أن هذا الكون يتسع كل لحظة. وأنه بعد ١٣٠٠ مليون سنة سوف تتضاعف المسافات الكونية!!

ويقول : أن هـذا الكون كنا نجهل عنه الكثير.. فمثلا كنا نرى بالعين المجردة خمسة آلاف نجم، أما الآن نرى بليونين من النجوم باستعمال التليسكوب العادى.. فماذا نرى منه فى غدنا ؟؟

وينقلنا من العالم الكبير جدا إلى عالم صغير جدا وهو عالم الذرة ثم يفاجئنا بالأرقام بأن عالم الذرة بالغ الضخامة. ويقول أن الذرة لا يمكن أن نراها بالعين المجردة. بل أن المنظار الذى يكبر ملايين المرات يعجز عن رؤيتها.. ومع هذا فقد ثبت أنها تحتوى على مجموعة من الإلكترونات. وهذه الإلكترونات لا تتصل بعضها ببعض، وإنها تدور حول البروتون، وأن كليهما يدور حول مركز الذرة بغير علم. فلماذا لانأخذ منه دليلا على وجود منظم قائم على هذا التنظيم.. إنه الله.

الإيمان بالآخرة :

ويقول هذا العالم الكبير فى أحد أبحاثه التى تضمنها كتابه: إن من أهم الحقائق التى يدعونا الدين للإيمان بها: فكرة الأخرة، المراد بها أن هناك عالما آخر غير عالمنا الحاضر، وسوف نعيش ذلك العالم خالدين.

وأن عالمنا هذا هو مكان للبلاء والاختبار، وجد فيه الإنسان لأجل معلوم.. وأن الله سوف ينهى هذا العالم حين يريد لبناء عالم الآخرة وأن الناس سوف يبعثون مرة أخرى وسوف تعرض أعمالهم خيرا أو شرا على محكمة الله، والذى سيجزى كل إنسان بما عمل..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبدأ الأستاذ منـاقشته لقضية النهاية المحتـومة للأرض، بضرب الأمثلـة لنا بـالنهـايات المصغـرة التى تجرى أمـامنا كل يـوم مثل الـزلازل والبراكين.. والتى تأتى على معظم الحيـاة القـائمـة من حولها، بعد أن تحدث أصواتا مفزعـة، ورجات قوية، ثم ترسل لهبا يكـاد يخطف الأبصار.. وقـد استحـال على الإنسان المعـاصر بكل إمكانياتـه العلمية والفنية أن يوقف هـذه الزلازل، أول حتى يخفف منهـا.. وكل مـافعلـه هـو مـداواة بعض آثـارهـا، والتخفيف من تخريبها..

ويذكـر : لنا أمثلـة من الزلازل والبراكين الـرهيبة التى أتت على الأخضر واليـابس، كـزلـزال شنن الصينى الـذى وقع عـام ١٥٥٦ وراح ضحيته ثمانية ملايين نسمة، وزلـزال لشبونة الذى هز ربع أوربا، وقتل ثلاثين ألفا من البشر، وزلـزال آسام بالهند والذى وقع منذ قرن تقريبا، وقـد تمكن من تغيير مجرى أكبر نهر بالهند وهو (برهام بوترا).

ويعلق المؤلف على هذه الظـواهر بقـوله: إن هذه الـزلازل تقرع أبـواب المدن فجأة، دون سابـق إنذار، وأن الإنســان لايستطيع أن يتنبأ بمكان الزلزال، ولا بموعد وقـوعه، والزلازل تنبىء عن القيامة الكبرى التى سوف تفاجئنا ذات يـوم على غرة منا.. إن هذه الزلازل دليل ناطق بأن خالق الأرض قادر على تدميرها كما يشاء..

ويسـوق لنا حكمـة وردت على لسان العـالم الجغرافى (جـورج جـامـوف) يقـول: أن هنـاك جهنم طبيعيـة تلتهب تحت بحـارنـا الزرقاء، وتحت مـدننا الحضارية المكتظة بالسكـان، وبكلمة أخرى نحن واقفـون على لغم كبير، ومـن الممكن أن ينفجـر فى أى وقت ليدمر النظام الأرضى بأكمله.

وسبحـان القائل: «إذا زلـزلت الأرض زلزالها، وأخـرجت الأرض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها..»، وقوله تعالى «إذا رجت الأرض رجا، وبست الجبال بسا...».

وينتقل الكاتب من ظواهر الأرض إلى ظواهر السماء فيقول: «إن الكون فضاء لاحدود له، تدور فيه نيران هائلة لاحصر لها، وهذا الدوران يمكن أن يتحول فى أى يوم إلى صدام عظيم لايمكن تصوره، وفى تلك اللحظة الرهيبة يكون مافى الكون أشبه بالآلاف من القاذفات النفاثة المليئة بالقنابل النووية فى طريقها لصدام رهيب.. إن اصطدام الأجرام السماوية ليس بغريب مطلقا، بل الغريب هو عدم وقوع هذا الإصطدام».

ويذكر الكاتب بعض الاحصائيات المذهلة من عالمنا العلوى، ويقول: يتألف الكون من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم مضروبا هذا العدد فى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الملايين وفى كل مجموعة منها يوجد مائة مليار من النجوم، ويقدرون - أى علماء الفلك - أن أقرب مجموعة من النجوم، وهى التى نراها فى الليل كخيوط بيضاء دقيقة تضم حيزا مداه مائة ألف سنة ضوئية.. هذا الكون محكوم بدقة متناهية يقدرها الحكيم الخبير.. والكرة الأرضية لاتزن شيئا فى هذا الكون.. فإذا أراد الله فناءها فمن يعصمها منه، وهو خالق هذا الكون العظيم..

ضرورة الحياة الآخرة :

وبأسلوب سهل قوى يتصدى وحيد الدين لفلسفة نيتشه عن الحياة حين قال (الحياة غدو.. ورواح) وأنها تمتلىء وتخلو كالساعة.. فيرد عليه بإيجاز: (إن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم وهو المجازاة على أعمال الدنيا خيرا أو شرا)، ثم يتساءل ولكن كيف تحفظ أعمال الإنسان التى سيجزى عليها؟؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجيب على هذا السؤال بقوله: للإنســان ثلاثة أبعاد يعرف من خــلالها هى: نيته، وقـولــه، وعمله.. وهــذه الأبعــاد الثلاثــة تسجل بأكملها، فكل حرف يخرج من لساننــا، وكل عمل يصدر عن عضو من أعضائنــا يسجل فى الأثير الفضائى، ويمكن عــرضه فى أى وقت من الأوقات بكل تفاصيله..

ويقول: ولقد أثبتت التجارب العلمية، أن جميع أفكارنا تحفظ فى شكلها الكامل، ولسنا قــادرين على محوها، وأثبتت هذه التجارب أن الشـخصية الإنســانية لاتنحصر فى الشعور، بل هناك أجـزاء أخرى وراء الشـخصية الإنسانية تبقى وراء الشعور، وهذه الأجزاء تشكل جــانبــا كبيرا من شخصيتنــا، ويشبه الشعــور والــلاشعــور بجبل الجليـد لايظهــر منــه فــوق سطح الماء إلا تسعــة وتبقى الأجــزاء الثمانية الباقية مستكنة تحت الماء..

ويؤكد عالمنا إستنادا إلى أداء معظم علماء النفس أن كل مايخطر على بال الإنســان من خير أو شر ينقش فى صفحــة اللاشعــور فلا يزول إلى الأبد ولايؤثر فيــه تغير الزمان، وهذا يحدث على الرغم من الإرادة الإنسانية..

ثم يقول : إن هذا الواقع يؤكـد بكل صراحة، إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان فى حيــازته عندما يبدأ حياتــه الأخرى: «ولقد خلقنا الإنســان ونعلم ماتــوسوس بــه نفسه، ونحن أقــرب إليه من حبل الوريد».

صدق الله العظيم ..

هل من حاجة للآخرة ؟؟

يروى لنــا المؤلف قــولين متناقضين للأستــاذ (وينود ريــد) ثم ينــاقشه وينــاقش بهدوئه المعــروف: يقول وينــود (إنــه لأمر هــام يدفعنا إلى التفكير فيما إذا كــانت لنا علاقة شخصيــة مع الإله، هل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هناك عـالم غير عالمنـا هذا، وهل سـوف نلقى جزاء عملنـا فى ذلك العالم؟ إن هذا السؤال تتعلق به مصـالحنا الكثيرة، فحياتنا الراهنة قصيرة جدا، أفراحها عادية موقـوتة، ويفاجئنا الموت، ولو استطعنا الإهتداء إلى طريقة خاصة تجعل أفـراحنا دائمة وأبدية، فلن يرفض العمل به أحد غير البله والمجانين)

ولـلأسف فإن الكـاتب يعـود ليتنكـر لما يقولـه حين يقـول فى سخرية: «إن هذه العقيـدة ـ أى عقيدة الآخرة ـ كانـت معقولة جدا حين كنا لانبحث جوانبها بعمق وجـد، ولكن بعد هذا البحث اتضح لنا أن أمـرها سخيف، ويمكن إثبـات سخافتها بسهـولة، فـالفلاح المحـروم العقل، الجاهل لا يتحمل مسـؤوليـة خطـايـاه وسيـدخل الجنة، ولكن العباقـرة مثل فرويد وروسو سـوف يحترقون فى نار جهنم، يرد وحيـد الدين كاتبنـا على هذا الخلط فيقول: «إن كـاتبنا لم يرق لـه أن يطالب جوته وروسـو أن يسلكا مسلك الحق، وإنما طالب الحق بالتغير، ولما لم يطع الحق راح ينكره).

ثم يتعقبـه بالحجج والأمثلـة والحكم، فيقول أنـه لا يوجـد على سطح الأرض من يفكر فى الغد غير الإنسـان، لأن حياة الحيوان هى (حياة اليـوم) وهذا مـايميز الإنسـان عن الحيـوان .. لأن الإنسان يتطلع إلى المزيـد من السعـادة والخير مع دوام هـذه السعـادة، ثم يقول: ولقد حاول الفلاسفة ورجال الإقتصاد والثوريون أن يقنعوا الإنسـان بأنـه مع التقـدم التكنـولـوجى سـوف يعيش فى غمـرة السعادة، وبالتالى سوف يغرض عن التفكير فى السعادة الأخروية..

ثم يرد عليهم بمثلين أحـدهما يأخذه من واقع الماركسيـة اليوم فيقـول عنهـا: إن النظام التكنـولـوجى لم يعط الإنسـان أكثـر من مظـاهر مـاديـة لأنـه لايملك القيم الـروحية، حتى يمنـح لأتباعـه السعـادة والطمأنينـة القلبية وواقع الماركسيـة يؤكـد هذا، ثم يثنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باعتراف صريح (البرتراند راسل) قاله فى مرحلة من مراحل يأسه (إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح، على حين كان الناس أجدر من الحيوانات بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها فى عالمنا الحديث).

وينتقل بنا الكاتب إلى مفهوم جديد يؤكد به الآخرة ليشهد الناس مصائرهم، ويجزون عما قدموه من خير أو شر، ويبدأ كلامه بتساؤل هل قامت مسرحية العالم كلها لتنتهى إلى كارثة أليمة، إن فطرتنا تقول لا، فدواعى العدالة والإنصاف فى الضمير الإنسانى تقتضى عدم حدوث هذا الإمكان، لابد من يوم يميز فيه بين الحق والباطل، ولابد للظالم والمظلوم أن يجنيا ثمارهما..

ثم يتساءل بانفعال: إذا لم تكن هناك قيامة، فمن ذا الذى سوف يكسر رؤوس هؤلاء الطواغيت ثم يتكلم عن أحداث وقعت فى الهند ويعلق عليها بأسلوب يملؤه الأسى والحزن يقول: لقد رفع القوم شعارات العلمانية والجمهورية واللاعنف، وفى نفس الوقت ارتكبوا أبشع ألوان الدكتاتورية وأسوأ صور العنف، وكل هذه الجرائم التى تأسى لحدوثها السباع المفترسة، والذئاب الكاسرة قد جرت فى عهد زعيم أطلق عليه لفظ (معلم الإنسانية ورسول السلام): الزعيم المقصود هو جواهر لال نهرو وينتهى بنا الكاتب إلى القول بأن جميع الأبحاث النفسية والروحية والتجريبية قد إنتهت إلى أنه لايعقل وجود حياة أولى دون وجود الحياة الآخرة، بل لقد آمن بهذه الآخرة كثير من العلماء والفلاسفة الذين لايؤمنون بالدين..

وذكر لنا على سبيل المثال ماكتبه البروفيسور دوكاس أستاذ الفلسفة بجامعة براون.. قال دوكاس (... ويتضح لنا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت التى يؤمن بها الكثير كعقيدة دينية - ليس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الممكن أن تكـون واقعا فحسب، وإنما لعلهـا هى الوحيـدة، من عقــائد الدين الكثيرة التى يمكن إتباعهــا بالـدليل التجريبى ولـو صـح هـذا فمن الممكن أيضـــا أن نجـد معلـومـات قطعيـة فى هـذا الموضوع..

ثم يختم كاتبنا حديثه بكلمة جامعـة مانعة: (إننا لو أعطينا هذه المسألة الخطيرة شيئا من تفكيرنا، فسـوف نجد قلوبنا تصرخ: «إن الساعة آتية لاريب فيها..».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٧

على طـريق التحدى، نلتقـى فى هذه الحلقـة مع الأستاذ وحيـد الدين خـان مؤلف كتـاب «الإسلام يتحـدى» حيث يجيبنـا عن مجموعـة من الأسئلـة الكبيرة بأسلوبـه العلمى الرائع.. إنـه سيجيبنا عن هذه الأسئلة :

كيف نثبت نبوة محمد ؟؟

وهل القرآن من عند الله ؟؟


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



كيف نثبت نبوة محمد .. ؟

يجيبنا الأستاذ وحيد الدين خان بقوله :

لابد من وجود مقياسين لاختبار الأنبياء :

أولا : أن يكون رجلا مثاليا بصورة غير عادية، فإن الذى يصطفى ليكون كليم الله، وليكشف للإنسان برامج الحياة وسرها لابد أن يكون أسمى شخصية فى النوع الإنسانى، فإن كانت حياته الذاتية متصفة بهذه الصفات فهى أكبر دليل على مايقول، إذ لو كانت دعواه باطلة لما كان ممكنا أن تتجلى هذه الحقيقة الكبرى فى حياته الذاتية.

ثانيا : أن يكون كلامه ورسالته مملوءين بجوانب يستحيل حصولها للإنسان العادى.

بهذين المقياسين يتتبع المؤلف سيرة محمد فى الناس قبل البعثة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعدها.. فيضرب بعض الأمثال.

فقبل الرسالة كان يدعى بالصادق الأمين، وقد هتفوا به عندما دخل الكعبة بعد أن اشتد بهم الخلاف حول من يضع الحجر الأسود، وقالوا: «هذا الأمين رضيناه».

ووقف ذات يوم يخطب فى قومه، وكان ذلك فى أوائل عهده بالرسالة، فقال لهم: «يابطون قريش، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقى؟؟، فارتفعت الأصوات، وتجاوب صداها مع جبال الصفا: نعم ماجربنا عليك كذبا».

ولما أراد ملك الروم أن يتحقق من نبوة محمد سأل أبا سفيان «قبل إسلامه»:

هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قال أبو سفيان : لا..

فقال هرقل: إذا كان لايكذب على الناس فهل يكذب على الله ؟!

ومن أروع أمثلة الوفاء بالعهد والأمانة، أنه أوصى على بن أبى طالب ـ فى الليلة التى خرج مهاجرا إلى المدينة والقوم يتآمرون على قتله ـ أوصى برد كل الأمانات التى كانت عنده إلى أصحابها.

ويسجل الكاتب ماقاله الدكتور ليتز عن أمانة وصدق الرسول : «إننى لأجرؤ بكل أدب أن أقول: إن الله ـ الذى هو مصدر ينابيع الخير كلها ـ لو كان يوحى إلى عباده، فدين محمد هو دين الوحى، ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والإعتقاد الراسخ القوى، ووسائل التميز بين الخير والشر، هى الشاهد على الإلهام، فرسالة محمد هى هذا الإلهام».

ويقلب المؤلف صفحات أخرى عن حياة النبى، فيعرضها على عجل ثم يترك لنا استخراج النتيجة.. إنه يستعرض مجموعة من الوقائع.. منها الإيذاء الجسدى، فقد ضرب بالحجارة حتى دميت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قـدمـاه، وألقيت عليـه القـاذورات، وشج وجهـه الشريف وسـالت الدماء منـه في المعارك الحربية، وسجن ثلاثة أعـوام عانى فيها مع أصحـابـه الجوع والقسـوة، فـأكل أوراق الشجـر المرة، وذكـر أن صحابيا اشتد به الجوع فـاضطر لأن يأكل قطعة من الجلد بعد أن غسلها بـالماء، وسخنها على النـار، وحتى بعد أن خـرج من الشعب (السجن) وعاش حيـاته العاديـة كان يعـانى من الجوع وقلة ذات اليد. يقـول الرسول عن نفسـه (فأتت على ثلاثون بين ليلـة ويوم، ومالى وبـلال طعام يأكله ذو كبـد، إلا شيء يواريه إبط بـلال» هذا حـال طعامـه، أمـا حال لبـاسه وأثـاث بيتـه، فيروى لنا عمـر بن الخطاب أنه دخل عليه بيته فوجده مضجعا على حصير، وقد أثر في جنبه، فقال لـه: يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتـك، فان فارس والروم قـد وسع عليهم، وهم لا يعبـدون الله.. فقال لـه رسول الله: أوفى هذا أنت؟؟ أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا..

وكان بـوسع الرسـول أن يكون من الأثـرياء، لأنـه كان تـاجرا ناجحا وأمينـا، ثم إن قومه قد عرضوا عليـه الملك والمال، فقد جاءه عتبة بـن ربيعة مفوضـا من قبل قريـش وقال له: يـا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمـر مالا جمعنا لك من أموال حتى تكون أكثـرنا مـالا، وإن كنت تريد بـه ملكا، ملكنـاك علينا فكان جـواب رسول الله تلاوة آيات من سـورة فصلت «حم، تنزيل من الرحمن الرحيم، كتـاب فصلت آياته قرآنا عربيـا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون..».

كان هذا الإيـذاء البدنى والنفسى، والمطاردة والتجويـع والتآمر على القتل والحروب التى شنوهـا عليه لأكثـر من عشرة أعوام.. كل هذا قابله وهو في أوج انتصـاره بالصفح والعفو فقال لهم يوم فتح مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويختم كاتبنا حديثه عن شخص رسول الله بما قاله البروفيسور «بوسورث سميث» عن الرسول: لقد ادعى محمد لنفسه في آخر حياته نفس ما ادعاه في بداية رسالته، وإني لأجدني مدفوعا إلى الإعتقاد بأن كلا من الفلسفة العليا والمسيحية الصادقة سوف تضطران يوما ما إلى التسليم بأنه كان نبيا صادقا من عند الله..

هل القرآن من عند الله ؟؟

يسوق الكاتب العشرات من البراهين والوقائع التى تثبت أن القرآن من عند الله.. ويضع فى قائمة هذه البراهين التحدى القرآنى: «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين».. ويعقب إلى هذا بقوله: إنه تحد تاريخى عجز كل الكتاب والأدباء والعلماء عن كتابة مثله.. ويكتفى برواية واقعتين، أولاهما عندما تحدى الشاعر «لبيد بن ربيعة» القرآن فكتب قصيدة رائعة ثم علقها على باب الكعبة، فلما رآه أحد المسلمين كتب آيات من القرآن وعلقها إلى جوار القصيدة، فلما قرأها لبيد قال: والله ماهذا بقول بشر، وأنا من المسلمين.

وبلغ من إيمان هذا الشاعر أنه لما طلب من عمر بن الخطاب أن يسمعه شعرا قرأ سورة البقرة ، وقال: ماكنت لأقول شعرا بعد أن علمنى الله سورة البقرة وآل عمران.

وذكر واقعة أخرى عندما حاول بعض الزنادقة وضع كتاب مماثل للقرآن وأغروا عبد الله بن المقفع بهذا العمل فأعلن فشله.

●●●

ويأخذ بيدنا إلى ميدان النبوءات، فيذكر لنا أمثالا عن فشل نبوءات كبار القادة والفلاسفة والمفكرين من أمثال بونابارت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهتلر، ثم ماركس الذى تنبأ بأن الثورة الحمراء سوف تتحقق فى فرنسا، ومع هذا فقد مضى أكثر من مائة عام ولم تتحقق الثورة فى فرنسا..

ثم يذكر الكاتب بعض النبوءات نكتفى بذكر اثنين.. الأولى: أن القرآن بشر الرسول والمؤمنين بالنصر المبين فى وقت كانوا فيه مستضعفين فى الأرض.. قال الله «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

ثم ذكر نبوءة القرآن بانتصار الروم على الفرس فى وقت كان الجميع يتوقعون عكس النتيجة.. وينقل نبوءة أبعد منها وقوعا، لأن السنين الإثنى عشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية..

وسبحان القائل: «غلبت الروم فى أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، فى بضع سنين».

القرآن وعلوم العصر:

يروى لنا العالم الهندى الدكتور (عناية الله المشرقى)، أنه زار العالم الفلكى الشهير الدكتور (جيمس جونز) الأستاذ بجامعة كيمبردج، وبعد أن استمع منه إلى حديث علمى عن الفلك.. قا الدكتور جيمس، إنى كلما تمعنت فى عظمة الخلق والدقة المتناهية الأفلاك، ارتعدت فرائصى من عظمة الخالق.. هنا قال له الدكتور المشرقى: عندنا فى القرآن آية تصف حالتك هذه بدقة، قال الله تعالى: «... ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء ..».

صرخ الدكتور جيمس.. «.. إنما يخشى الله من عباده العلماء..»، هذا مدهش، وغريب جدا، إن هذا الأمر الذى كشفت عنه بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراسة ومشـاهدة استمرت خمسين سنـة، من أنبأ محمدا بها. هل هذه الآيـة موجودة فى القـرآن حقا؟!!. لو كـان الأمر كـذلك، فاكتب شـهادة منى أن القرآن موحى به من عند الله..

إن مؤلف كتاب «الإسلام يتحدى» يضـع أمامنا الحقائق العلمية التى توصل إليهـا العلم الحديث، ثم يردنـا إلى آيات القـرآن الكريم التى نزلت منذ أربعة عشر قرنا بحقائق علمية مذهلة تثبت أن آيات القرآن كانت سباقة فى ميدان العلوم المختلفة..

ولقد تناول الكـاتب الظواهر الكونيـة، وحللها علميا، كما تحدث عن علم الأغذية والطب.. ونكتفى بذكر بعض هذه الحقائق:

«مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لايبغيان».

هذه الظـاهرة لم يعـرفها الناس من قـديم الزمـان، وهى انه إذا التقى نهران فى ممـر مـائى واحـد فماء أحـدهما لايـذوب فى مـاء الآخر . ثم ضرب مثلا شاهده بنفسه يقول: لقد شاهدت عند ملتقى نهر الكنج والجامونا (فى مدينـة الله آباد) أن النهرين على الرغم من التقـائهما لم تختلط مياههما.. ويقـول ان العلم الحديث فسر هـذه الظـاهرة بقـانون (المط السطحى) وهـو يفصل بين السطحين، لأن تجاذب الجزيئات يختلف من سائل لآخر..

وينتقل بنا إلى علم الأغـذية فيـذكر لنـا السبب فى تحريم القرآن لأكل الدم ولحم الخنزير.. فيقـول، إن الدم يحتوى على كمية كبيرة من (حمض البوليـك) وهو مادة سـامة.. ولـذلك أمرنـا القرآن بان نذبح الحيوان ليسيل دمه، ولا يتجمد هـذا الدم فى العروق، وحذرنا الكاتب من أكل لحم الحيوان الذى يقتل بـالصدمة لأن الدم لايسيل من عروقه..

وبالنسبة للحم الخنزير، قال إن لحم الخنزير يحتوى على كمية كبيرة من (حمض البوليــك) وأنه لا يفـرز هـذه الكميـة إلا بنسبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٪ فقط، فى حين أن الحيـوانات الأخرى تفـرزها بنسبـة ٩٠٪ عن طريق الكليتين.. ويقول أن اختزان هـذه الكمية فى لحم الخنزير هى مصـدر الضرر، إنها تتسبب فى آلام المفاصل بـالنسبـة للإنسـان، وحتى الخنـزير نفسـه يتألم من هذا المرض.. «سنـريهم آياتنـا فى الآفاق وفى أنفسـهم حتى يتبين لهم أنه الحق».

الدين والحضـارة :

إن المؤلف رجل واسع الثقافة، متعدد الدراسات، ولذلك فقد قام بمسح كبير للجـوانب التى تمس موضـوعه، وحـرص على أن يلتقى مع خصـوم الإسـلام فى جميع الميـادين، فهـزمهم فيهـا مستعينـا بالعلم..

ولقد سجل فى آخر كتابه معاركه مع بعض المشرعين المعاصرين، كما سجل معارك مع دعـاة التحلل.. ولكنه لم يظل فى هـذه المعارك ولذلك سنكتفى بمشاهدة ملاحمه عن بعد..

تحدث المؤلف عن التشريعـات المعـاصرة وواجههـا بفشلهـا مستعينـا عليهـا بالـواقع الـذى انتهت إليـه وهى أنها عجـزت عن تحقيق العـدالة، كما استعـان عليها بأقـلام المشرعين أنفسـهم .. ثم اقترح عليهم الحلول الجذرية.

لقد وقع خلاف قديم وحديث فى مفهوم القانون، ثم وقع خلاف فى الغاية من القانون.. حتى أن (فولر) وضع كتابا أسماه (القانون يبحث عن نفسه).

ولقد اشتط البعض فى تعريف القـانون حتى ذهب (جوناستين) إلى القول بأن (القانـون هو الحكم الذى أصدره رجل رفيـع المنزلة سياسيا لمن هو أدنى منه فى المرتبة السياسية).

ولقد اختلف رجـال القانـون ولايزالـون يختلفون حـول من له الحق فى وضع القـوانين.. أهو الحاكم الفـرد الـذى يهب الدسـتـور

للشعب.. أهو الشعب الـذى يمنح نفسه هذا الحق بطـريق مباشر ، أهو البرلمان ممثل الشعب الذى يصـوغ الدستور والقوانين ؟؟

وهو يحمل بشدة على أسلوب الحكـم الفرد، والأسلوب العام أى الجماهيرى، ثم يأتى إلى الأسلوب المألوف وهو البرلمان فيقول : إنه لم يمثل الشعب بـالكامل فى أى مجلس نيابى، وإنما يمثـل بأغلبية وهذا هـو المتبع فى الدول الديموقـراطية . أما فى الدول الشيـوعية فإن الزعماء يفوزون بالأغلبية الساحقة.

إذن فشل الأسـلوب الديموقـراطى والأسلوب الشيوعى فى تمثيل الشعب واضع القوانين !!

وعلى فـرض أن الشعب مثل تمثيـــلا صحيحـا، فعلى أى هــدى سيصوغ هذا الشعب ا لقوانين التى تحقق العدل ؟!

ثم إن هناك مشكلة لها خطورتها وهــى أن التشريعات الوضعية خاضعة للتغيير والتبـديل من زمان لزمان، ومن مكـان لمكان، حتى قـال (كـوهلير) ليس هنـــاك دستـور أبـدى ، وأى تشريع لعصر ما ليس بالضرورة صـالحا لعصر آخر.

ويكتفى الرجل بالرد عليهم بحكمة قالها الدكتور (فرويدمان) : يتضح بعد دراسة هذه الجهود المختلفـة أنه لابد من هداية لتقييم المعيار الحقيقى للعدل، والأساس الذى يحملـه الدين لإعطاء العدل صورة عملية ينفرد بها فى حقيقته وبساطته .

ثم ينتهى بنا الأستاذ إلى هــذه الحقيقة : إن مصدر التشريع هو الله وحده ، خالق الأرض والكون ، فالـذى أحكم قوانين الطبيعة هو وحـده الذى يليق أن يضـع دستـور حضـارة الإنسان ومعيشتـه ، وليس هناك من أحد غيره سبحانه .

وتحدث الرجل على عجل عن العلاقة بين الرجال والنساء فقال : إن الإســلام يحرم العـلاقـات بينهما إلا أن يكـون ذلك عن طـريق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزواج .. واستشهد بمقالة كتبتها طبيبة (ماريون هيليارد) ضد الاختلاط قالت : إننى لا أستطيع أن أسلم كطبيبة أن العلاقات الطاهرة ممكنة بين الرجل والمرأة ، ينفردان برضاهما وقتا طويلا .

ثم طرح أمامنا احصائية نشرتها هيئة الأمم عن النتاج غير المشروع للعلاقات الجنسية الحرام ، فقال :

لقد ارتفعت نسبة الأولاد غير الشرعيين إلى ٦٠٪ ووصلت إلى ٩٠٪ فى بنما .. وتكاد هذه النسبة أن تنعدم فى الدول الإسلامية .

ولمس الكاتب على عجل المشكلة الاقتصادية المعاصرة ، وتوجه بالنقد للذين حرموا الملكية الفردية ، وأحلوا محلها الملكية الجماعية ، ظنا منهم أنها أكثر عدلا ، وأنها تحقق المصلحة العامة وتضاعف الإنتاج .. ثم تطاولوا على الدين متهمين إياه بأنه ضد مصلحة الشعوب ، لأنه يؤمن بالملكية الفردية .

وبأسلوبه المقنع وضع أمامنا هذه الحقيقة .

قال إنه فى روسيا توجد مزارع جماعية ، ومزارع فردية ، وقد أثبتت التجارب أن المزارع الجماعية تحقق عائدا لا يصل إلى نصف ما تحققه المزارع الفردية المماثلة .. فمثلا كان ناتج الفدان - عام ١٩٦٠ - فى المزارع الجماعية سبعة أطنان من البطاطس فى حين كان ناتج الفدان فى المزارع الفردية - أحد عشر طنا - وكانت نتيجة الزراعة الجماعية فى روسيا أنها كانت من الدول المصدرة للقمح فى عهد القصرية ، فصارت دولة مستوردة للقمح .

ثم انتهى إلى أن الملكية الفردية التى يأخذ بها الدين يمكن أن تحقق العدالة بين الناس ، وتحقق التنافس المشروع بينهم .

وينتهى بنا المؤلف إلى أن الدين بإمكانه أن يحل كل المشاكل التى يعانى منها الإنسان .. ويصوغ هذا المعنى بأسلوبه الرفيع .. فيقول : إن الإيمان بالله يعطى الإنسان محركا هو أساس سائر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخــلاق الطيبة ، ومصــدر قــوة العقيــدة ، العقيــدة التى عبر عنها (السير ويليــام أوسلــر) بقــولــه : (إنها قــوة محركــة عظيمــة ، لا تــوزن بأى ميــزان ، ولا يمكن تجربتها فى المعــامل) ، إن هــذه العقيدة هــى سر مخزن الصحة النفسية الموفــورة، التى يتمتع بها أصحــابها ، وأيــة نفسية محرومــة من هــذه العقيــدة لن تنتهى إلا بالمرض.

ثم يصف كاتبنا متاعب الناس ويصورها بقلم يقطر ألما وحزنا :

(لقــد دمر الإنســان تــدميراً شــديدا ، الأجســام تحت الأثــواب البراقــة أحوج مــا تكــون إلى الهدوء والسعادة الحقيقيين ، والأبنيــة الفخمة تسكنها قلوب محطمة ، والمدن المتلألئة ببريق الحضارة هى بؤر الجرائم ، والحكــومات الجبارة مصــابة بــالدسائس الــداخلية وعدم الثقــة، والمشروعات الضخمــة تبوء بــالفشل نتيجة للخيــانة ، وكل هذا يرجع إلى حرمان الإنسان من نعمة الإيمان بالله !!!

واستشهــد على كلامــه بما قالــه العالم النفسى (البروفيســور يــانج) قــال : لقــد طلب منى أنــاس كثيرون مشــورة لأمــراضــهم النفسية ، ولم تكن مشكلة هؤلاء إلا الحرمان من العقيدة الدينية .

واختتم كتــابه القيم (الإســلام يتحــدى) بحكمة بــالغة قــالها البروفيسور (كريسى موريســون) رئيس أكاديمية العلوم بأمريكا : إن الاحتشــــام والاحترام والسخــــاء وعظمــة الأخــــلاق ، والقيم والمشاعر الســامية وكل ما يمكن اعتباره (نفحــات إلهية) لا يمكن الحصول عليها عن طريق الإلحاد :

(فالإلحاد نــوع من الأنانية ، حيث يجلس الإنســان على كرسى الله).

(لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين) .

(وسوف يتحول النظام إلى فوضى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك) .
(وسوف يتفشى الشر فى كل مكان) .
(إنها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله) .
من القضايا المحيرة التى تشغل بال الجميع .
هل توجد خصومة حقيقية بين الديانات السماوية .
وهل هذه الخصومة تعزى إلى أصحاب هذه الديانات ؟
هذه الأسئلة المحيرة سنجيب عليها ، ولكن بأسلوب يبتعد بنا عن الجدل والمراء .
سنجيب عليها من خلال لقاء تاريخى تم بين ميلاد سيدنا المسيح وميلاد سيدنا محمد عليهما السلام .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٨



من حسن طالع الإنسانية التقاء ميلاد السيدين العظيمين : محمد والمسيح عليهما السلام .. وليت الإنسانية تتخذ من هذه المناسبة الجليلة وسيلة لإشاعة الحب والعدل والإخاء بين البشر ، لأن الدين الذى دعا إليه محمد والمسيح وكل الأنبياء دين واحد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد ، وأنا أولى الناس بابن مريم ، لأنه ليس بينى وبينه نبى » .

وبنفس الإحساس بوحدةالعقيدة ، قال المسيح عليه السلام قبل ستة قرون من ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

إن لكل من ميلاد المسيح ومحمد قصة .. وقصتهما تدعو للإيمان بالله وبهما .. فما قصة ميلادهما ؟


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



موسى يبشرنا بالمسيح :

جاء فى إنجيل يوحنا : أن نثناتيل عجب حين قال له صاحبه « إنا وجدنا الذى أنبأنا عنه موسى ، وأنه من الناصرة فى الجليل » .

وعلى الرغم من ورود هذه البشرى عن رسول بنى إسرائيل إلا أنهم جابهوها بالتكذيب فقالوا : « آمن الناصرة يجىء شىء صالح » .

ولكن النبوءة تصدق وتشرق الناصرة بنور المسيح عليه السلام ، فتعم أرض فلسطين وما حولها .

ويهزم التآمر اليهودى من أول يوم .. كما يهزم صولجان الرومان فى فلسطين .. ويستتب الأمن فى البلاد التى لم تكف عن الثورات .. ويشيع الحب والتراحم بين الناس ، وتمسح يد المسيح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أدواء النـاس وأوجـاعهم ، فيشفيهم الله .. كل هـذا يتم خـلال فترة لا تزيد على ثلاثة أعوام ، فما أروعها من معجزة .

كان لابد من مقدمـات لتتهيأ البشرية لتقبل ميلاد طفل دون أب لأنها معجزة خـارقة للعـادة ، وحتى تتقبل البشرية هـذه المعجزة ، قدمت لها معجـزة أخص منها ، وكانـت قصة ميلاد السيـدة مريم العـذراء التي ولـدت مـن شيخين كبيرين ، ثم اختيـار الله لها ، وأكرامها بنزول الملائكة عليها : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفـاك وطهـرك واصطفـاك على نسـاء العـالمين » ، ثم تنـزل الملائكة بعد ذلك لتبشرهـا بأنها ستحمل فى بطنها بالمسيح وتصف لها ابنها قبل أن يـولد « وإذ قـالت الملائكة يـا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مـريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .

ثم تكون المعجـزات المادية المحسوسة لتـؤكد لمريم أنها ليست فتاة عادية كغيرها من البشر .. فقد تكفلت السماء بأطعامها للتفرغ لعبادتها ولخدمة المسجد .

ويدخل عليها النبى الوقور ، زوج خـالتها سيدنا زكريا فيعجب لحالها ، وهى تأكل من طعام طيب غير مألـوف لديه ، ويسألها عن مصـدر هذا الطعـام ، فتقـول : « قالـت هو من عنـد الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

وينبهر النبى بـالمعجزة الماثلة أمامه ، فيعجـل بالضراعة إلى الله ليحقق لـه معجزة كـان يصبـو إليها ويـرزقـه بابن يخلفـه فى أداء الـرسـالة ويـؤنس بـه وحـدتـه ، ويعينه فى أمـره بعـد أن تجاوز التسعين من عمره « هنـالك دعا زكـريا ربـه ، قال : رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الـدعاء » .. وتستجاب الدعوة ، وتحمل الملائكـة البشرى لزكـريا : « فنـادته الملائكـة وهو قـائم يصلى فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحراب، إن الله يبشرك بيحيى ، مصـدقـا بكلمـة من الله ، وسيـدا وحصورا ، ونبيا من الصـالحين » . وتتحقق المعجزة وتحمل زوجة زكريا بيحيى .

وتحمل مريم بالمسيح .

وتعجب مـريم وزوجة زكـريا لظـاهرة عجيبـة ، وهى أن يحيى كان يسجد إكراما للمسيح وهما لا يزالان فى بطن أميهما .

ويـلاحظ يوسف النجـار والـذى كان يـلازم مريم فى المسجـد ويتعبد معها ويساعدها فى خدمة بيت الله ، يلاحظ آثار الحمل على العذراء ، فيسألها فى حياء : إنـه قد وقع فى نفسى من أمرك شىء ، وقـد حـرصت على أن أكتمـه ، وقـد غلبنى ذلك ورأيت أن الكـلام أشفى لنفسى .

قالت له : قل قولا جميلا ..

قال : أخبرينى يا مريم ، هل نبت زرع بغير بذر ؟

قالت : نعم .

قال : فهل نبتت شجرة بغير غيث ؟

قالت : نعم .

قال : فهل يكون ولد بغير ذكر ؟

قال : العذراء الطاهـرة : ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ؟ والبذر إنما يكون من الزرع الذى أنبته من غير بـذر ، ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجـر من غير غيث ، وبالقـدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق الله كل واحدة منها على حدة ؟ أو تقـول أن الله لا يقـدر أن ينبت الشجـرة حتى استعـان بـالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ؟

أجابها يـوسف : لا أقول هـذا ، ولكنى أقول أن الله تعـالى يقدر على ما يشاء ، يقول للشىء كن فيكون .

فقالت له مريم : ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى ؟

فقال يوسف : بلى يا مريم .

وآمن يـوسف أنـه أمـام معجزة بـاهـرة ، لا تخضع لنـواميس الكون العادية ، فعزم على أن يقف إلى جوارها ويقوم على خدمتها ، ويدافع عنها ، ويصاحبها فى كل أسفارها .

المعجزة الكبرى :

وتمت المعجزة الكبرى بميلاد المسيح فى بيت لحم ، تمت تحت شجـرة نخل يابســة ، قبل شروق الشمس بقليل ، وكانت الـولادة يسيرة سهلـة ، ولم يكن مع مــريم طعـام ولا شراب ، وإذا بهاتف يأتيهـا من السماء « وهزى إليك بجـذع النخلة تسّاقط عليـك رطبا جنيا » .. فتمـد يديها الواهنتين وتهز الشجـرة اليابســة ليتساقط منهـا رطب طيب ، ولا تجد عنــاء فى الشرب قـد جـرى نهر صغير عذب الماء تحت أقدامها « ... قد جعل ربك تحتك سريا » .

وتحمل الطـاهرة وليـدها ، وتتجه إلى النـاصرة بلدتها ، فتقـابل بمظاهر الاحتجاج والاستنكار من قـومها ويهتفون بها « لقد جئت شيئـا فريـا » .. ويـذكـرونها بأنها ابنة لـرجل صـالح ، وأنهم لم يكونـوا يتوقعون منهـا أن تأتى بهذا الإثم .. ولما كانت العـذراء قد نذرت الا تكلم الناس ثلاثة أيام فقد اكتفت بالإشارة إلى وليدها .

وهنـا نطقت المعجـزة بكلمة الحق : « قـال إنى عبـد الله آتـانى الكتـاب وجعلنى نبيــا ، وجعلنى مبـاركـا أينما كنـت ، وأوصــانى بالصــلاة والزكـاة مادمت حيا ، وبـرا بوالـدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

انبهـر القوم بهذه المعجـزة الخارقة وتأكـد لهم طهارة العـذراء وصدقها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومضت المعجزة على يد المسيح ، تؤكد صـدقه وصدق رسالته ، فكان ينبىء النـاس بما يأكلون وبما يـدخرون فى بيـوتهم ، وكانت يـده الطاهـرة تمسح على المريض فيشفى ويـدعو لـلأعمى فيبصر وللأموات فينهضـون واقفين .. ويؤكد لقومـه أن كل هذه المعجزات من الله خالق كل شىء .

ويسجل التـاريـخ انتصـارات السيـد المسيح على كـل خصـوم دعوته، ينتصر عليهم بالحكمة والصبر والثبات .

وكما بشر موسى عليـه السلام بميـلاد ا لمسيح ، بشرنا المسيح بميـلاد محمد عليـه السلام .: « ومبشرا بـرسول يأتى من بعـدى اسمه أحمد » .

ابن الذبيحين :

وبعـد ستـة قـرون من ميـلاد المسيح تتهيأ الأرض لاستقبـال (ابن الـذبيحين) محمـد صلى الله عليه وسلم .. وهـذه التسميـة أطلقها الـرسول على نفسـه فقال (أنا ابـن الذبيحين) ويعنى بهذا انه من نسل اسماعيل الذى أمر أبـوه ابراهيم بذبحه ولكن الله فداه بذبح عظيم .

أما الذبيح الثانى فهو أبـوه عبدالله ، والذى كان سيذبح ضحية نذر قطعة جـده عبد المطلب على نفسه تقـربا الى الالهة إذا رزقه الله بعشرة أولاد أن يـذبح احـدهـم .. وشـاءت ارادة الله ان ينجيـه من الذبح ليخرج من صلبه النفحة الربانية المباركة .

ونجت البشريـة بنجـاة الذبيحين ليكـون منهما رحمة للعـالمين ومـا أرسلناك إلا رحمة للعـالمين . وكما كتب الله لـرسـوله الحيـاة بنجاة الـذبيحين ، كتب الله للمسجد الحرام ومكـة النجاة مـن غزو خارجى مـدمر ، فقد جاءهـا ابرهة بجيش مزود بأحـدث الأسلحة وبأكبر الفيلـة ، فسلط الله عليه وعلى جيشه قـوة من الطير المزودة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحجارة ناريـة قاتلة ، فنجت الكعبة ونجت مكـة ونجا قوم النبى ، وفى هذا العام (عام النجاة) ولد محمد .

وماذا حدث فى العالم ساعة ولادته ؟

فى الســاعـة التى ولـد فيها محمـد تشقق بنـاء أكبر عـرش على الأرض ، وهـو عرش كسرى ملك فـارس ، وانهار أربعة عشر ركنـا من أركـان قصره الشهير ، كما خمدت نـار الفـرس المقـدسـة التى ظلت مشتعلة لأكثر من ألف عام ، وعجز سدنتها من إشعالها ، وفى نفس الـوقت شـوهد شعـاع نـورانى يخرج من مكـة ساعـة ولادة محمد فيضىء قصور بصرى .

كيف تمت الخطبة :

خرج عبـدالمطلب من بيته بصحبة أحب ابنـائه اليه ، ومضـى فى طرقات مكـة قاصدا بيت صديقه وهب بن عبـدمناف ، ليخطب منه آمنة لابنه عبدالله ..

وفجأة تعترض طريقهما امـرأة تدعى (قتيلة) ودون مقـدمات تهمس فى أذن عبدالله : اين تذهب فى ساعتك هذه ؟

قال عبدالله وهو يبتعد عن المرأة : هناك الى حيث يقودنى أبى .

وبجرأة بالغة ، وبـدون حياء قالت له : قف واسمع ، إنى أهبك مـائة مـن الإبل ، وهى التى وجب على ابيك التضحيـة بها لانقـاذ حياتك ، إذا قبلت ان تكون لى الساعة ؟

تراجع عبدالله مذعورا : وقـد أذهلته جرأة المرأة ، فلما رآها تقف منه فى تحد قال لها : إنى فى صحبة أبى الذى لا استطيع مفارقته .

ومضى الشـاب يجد فى السير خلف أبيــه الـذى قـاده الى بيت خطيبته ، وتمت اجراءات الخطبة فى بساطة ، كما تم الزواج فى بيت عمه أبى طالب ، حيث قضـى ثلاثة أيام مع زوجته ..

ثم خرج من بيـت الزوجية ولقى (قتيلـة) على ناصيـة الطريق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تغير لونها وظهـر عليها الغضب وبادرته بســؤال غريب فقالت له : من أنت ؟

قال : أنا عبدالله بن عبدالمطلب ..

قالت : أنت ذاك الذى كان جبينه يلوح لى تحت إكليل من النور ، وقد اختفى الآن منه ، ما الذى حدث بعد ان تلاقينا ؟

فقص عليهـا عبدالله خبر زواجـه من آمنـة ، حتى اذا انتهى من روايته قالت لـه وهى تودعه : والله ما أخطأت فيما كـان منى ، لقد كشفت على جبينك نـورا ، ورغبت ان امتلكه ، ولكنـه الآن أصبح فى حيـازة امـرأة أخرى ستلـد أفضل الخلائق ، ولم يبق فيك الآن مـا يجذبنى نحوك ..

وانصرفت المرأة حـزينـة كسيرة النفـس ، لأنها كـانت تطمع أن تكـون أم النبى ، الذى أخبرهـا عنه أخـوها ورقـة بن نوفل ، فقـد حـدثها ان نبيـا سيولـد فى هذه الأرض ، وان والـده يعرف بنـور يتـلألأ فى جبينه بمثل لألأة الماس أو النجـوم ، وقد تجلت لها هـذه الأوصاف فى عبدالله .. فاشتدت فى البحث عنـه لتكون له زوجة لأنه لم يعرف عنها السوء أو الانحراف .

وتنتهى قصة قتيلة ويطويها الزمن ، لتبدأ قصة أخرى يشـهدها بيت أبى طـــالب حيث تم الـزواج بين عبـدالله وآمنــة . ثم تشرق الأرض بنور محمد .

أم محمد تحدثنا عن وليدها :

وأما عن حملـه وميـلاده فينسب الى أمـه آمنة أنها قـالت : منذ اليوم الأول الذى حملت فيه ولدى حتـى الساعة التى وضعته فيها لم أشعر بأى ألم ، وإنى حتى لم أشعر بمجرد ثقل ، بل ما شعرت انى حملت به حتى أتانى آت ، وأنا بين المنام واليقظة فقال : انك قد حملت بسيـد هـذه الأمة ونبيهـا ، اعلمى ذلك .. وفى نفس اللحظـة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خرج من أحشائى خيط من النور وتـرامى ناحية المشرق حتى بلغ أرض الشـــام ، وعندمـا دنا مـوعد ولادتى ظهـر لى الملك من جديـد وأوصــانى قائلا : عنـدمـا تضعين ولـدك قولى (أعيـذه بـالواحـد الصمد من شر الحاسدين وسميه محمدا فهذا هو الاسم الذى بشر به فى التـوارة والانجيل لأنه سوف يحمـد من جميع سكان السماء والأرض).

وقبل طلـوع شمس يـوم الاثنين الثـــانى عشر من شهـر ربيع الأول (عام ٥٨٠ميـلادية) ولد الهدى فاستضــاءت به السماوات والأرض ، وأشرقت به قلوب وعقول الانسانية كلها .

وتمضـى المعجـزات مع الـوليــد تسجل بصماتها فى كل مكـان يـرده ، وتحدثنا مـرضعتـه حليمة عن طـرف من طفـولة محمـد ، وتقول : (مــا إن قدمنا منــازلنا فى بنى سعد ، ومــا أعلم أرضا من أراضـى الله هى أجـدب منهـا ، فكانت غنمى تـروح شبـاعـا لبانـا فنحلب ونشرب ، ومـا يحلب انسان قطـرة لبن ، حتى كـان قومنـا يقـولون لـرعاتهم ، ويلكم أيها الحمقى اسرحـوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ، وكان النبات يترعرع لمقدم أغنامى ، ثم يذبل عقب مرورهم به ..).

وتروى لنـا حليمة قصة شق صــدر النبى وكان فى الـرابعة من عمره ، والتى قصها أخـوة فى الرضاع ، ومؤداهــا ان شخصين كانا يلبسان ثيابا بيضاء اخذاه وشقا صـدره ، وأخرجا منه شيئا أسود ، ثم أعاداه لحالته الأولى ، ثم اختفيا ..

حديث الراهب بحيرا :

ويشب محمد ويســافر الى أرض الشام ، وتمضـى القافلـة قبالة جبل حوران حيث يقيم الراهب بحيرا ، ويذهل الـراهب وهو يشاهد سحابًا أبيض يغطى صفحة السماء ، ويظلـل إحدى قوافل التجارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القادمة من بلاد العرب ، وتتـوقف القافلة لتستظل بشجرة كبيرة ، فيتقدم منهـا بحيرا يدعـو أصحابها لتنـاول الطعام معـه ، فيذهب القوم بإستثنـاء محمد ، فيسألهم بحيرا عن سبب تخلفـه فيتعللون بحـداثـة سنـه ، ولكـن بحيرا يصر على دعـوتـه ، ويحضر الشـاب ويجلسه أمـامه يتأملـه طويـلا ويسأله كثيرا ، ويتمكن مـن خلال مناقشتـه له وتفحصـه من اكتشاف (خـاتم النبوة) .. ثم يـوصى عمـه قائلا لـه : (ارجع بابن اخيك الى بلـده ، وأحذر عليـه يهود ، فوالله لئن رأوه ، عرفوا منه ما عـرفت ليبغونه شرا ، فإنه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم .

وكانت المعجزة الخالدة :

وتبدأ خيـوط المعجزة الخالدة فى الكهف حيث كان محمـد يخلو بنفسه ليتأمل ويتعبد ، وتسجل أول آيـة على قلبه ، اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسـان من علق ، إقرأ وربك الأكـرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ..

ويحمل المعجزة بكل ثقلها قـرابة ربع قرن .. يصلى بها ويصـوم بها ويـــزكى بها ويقـاتـل بها الى ان يسجل النصر المبين . ويحقق محمد بمعجزته أضخم المعجزات..

الرجال الذين رباهم على يـديه وصاروا معجزات بشرية ، فليس كمثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، والقريـة التى نشأ فيها صارت عاصمـة اسلامية يحج اليهـا والى المسجد القـائم بها ملايين البشر من كل فج عميق .

والعلم الذى تركـه استنارت الانسانية بـه أكثر من أربعة عشر قـرنا ، والأمـة التى بناهـا لم يهتز صرحهـا على الرغم من معـاول الهدم المسلطة عليها .

والخلق الـذى وضع أسـاسـه ، كـان ولا يـزال أصلب قـاعـدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للسلوك الانسـاني الجميـد ، والعدل الذى أقـامه حفـظ على الناس أرواحهم وأموالهم وأعراضهم .

والأسرة التى جمع شملها صارت أقـوى لبنة فى بناء المجتمع .. والقوانين والنظم التى لا تـزال المصدر الحى النـابض لكل القوانين التى تنشـد الحق والعدل .

وأعظم معجزاتـه المعجزة الخالـدة ، إنها ستظل باقيـة ما بقيت أنفـاس الانسانيـة فى الأرض ، « إنـا نحن نـزلنا الـذكـر ، وإنا لـه لحافظون».

وأعظم معجزاته انه لا نبى ولا رسول بعده .

ولقد ودع رسـول الله العالم بعـد أن أودع فى عنقه قـول الله : « اليـــوم أكملت لكم دينكـم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيـت لكم الاسلام دينا».

وأخـــــيرا ..

وأخيرا لمَ لا نلجأ لمن أوصـانـا ربنـا ان نلجأ اليـه اذا التبست علينا الأمـور ، واستبدت بنـا الحيرة ، ونسأله ان يفيض علينـا من الحكمة التى أفـاضها الله عليـه : « لقد من الله على المؤمنين اذا بعث فيهم رسـولا من أنفسهم ، يتلـو عليهم آياتـه ويـزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانـوا من قبل لفى ضلال مبين » صدق الله العظيم.. لم لا نلجأ اليـــه ونلتمس منـه الحكمـــة ، لنتهـدى بها فى حياتنا ..

ولتكن حكمة الـرسول هى خير مـا نختتم به هـذا الكتاب والله ولى التوفيق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٩

نظر محمد حوله فإذا به فى مواجهة شعب مشتت ، لاتحكمه رابطة ، ولا تمسكه عقيدة ، ولا تضبطه حكومة ، ولا يسوسه فكر .

شعب يقتل الأب فيه طفله خشية الجوع والحاجة .

شعب يقتل الأب ابنته وهى فى المهد خشية عار يتوهمه.

شعب يقتل فيه الرجال طمعا فى المال .

وتسبى النساء للاستمتاع بهن شعب تقوم تجارته على بيع الرجال وبيع وشراء أعراض النساء ، أو وراثتهن عن الآباء .

شعب يسكن بيوتا مزودة بجرار الخمر ، وبتماثيل الآلهة وبأدوات القمار ، وقداح الحظ .

شعب لا يعرف عن الحضارة شيئا .. فهو على الرغم من وقوعه بين ثلاث حضارات ، حضارة الروم فى الشمال، واليمن فى الجنوب ، والفرس عن شماله إلا أنه كان متخلفا عمرانيا وفكريا .

شعب ورث عبادة الآباء والأجداد يتفاخر بهم ويتعبد بذكراهم .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بالحكمة انتصر محمد

إلى هذا الشعب ، والى الشعوب من حوله ، والتى كانت تعيش فى ضلالات متقاربة ، والى شعوب لم ترها عين محمد ، أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. أرسله لذلك الشعب ، ولمن حوله من أبناء القرن السادس ، ثم لكل القرون.. ومنها قرننا .. وقرننا فيه العرب ، والغرب ، والشرق الأوسط والأقصى .. أرسله الى آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا .. أرسله لكل ناطق بالعربية والانجليزية والفرنسية والروسية .. ولغة الصين والهند لكل هؤلاء أرسل محمد ليكون لهم رحمة وهدى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .. فكيف خاطب محمد أبناء عصره والعصور التى لم يرها ؟!

لقد خاطبهم بالحكمة .. والحكمة لغة تعلو على كل الألسن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واللغات لأنها لغة إنسانية تخاطب القلوب ، والمشاعر ، والعواطف ، وقد ألزمه ربه بها « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم باللتى هى أحسن .

بالحوار المقنع بدأ دعوته :

بعد ان تزود رسول الله بآيات الحكمة ، بدأ يمارسها عملا وهو يدعو الناس الى دينه الجديد .. طرق كل باب فى مكة يدعو أهله للايمان بدعوته ، وغزا الأسواق .. وكان يحاور الكبار والصغار ، والنساء ، والسادة والعبيد .. وغير العرب .. وكان فى حواره معهم رقيقا هينا لينا سهل المدخل ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله .

ومع هذه الرقة والحكمة كان يقابل بالصد والاعراض ، فيأمره ربه بالمزيد من الصبر والمزيد من الحكمة « ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ».. ثم يقابل بالتحدى ، وتقدم له مطالب غريبة لاعجازه « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه .. كل هذه المطالب قصد بها التحدى والاعجاز ، ولكن النبى يقابلها بهدوء ، ودون انفعال ، ويتكفل ربه بالرد على هذا التحدى قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا .

يواجه الرسول بآلاف الأقضية والتحديات فيتصدى لها بالحكمة مستعينا بالتاريخ ، أو بالقصص أو بالأمثلة فيؤمن البعض فيأمره ربه ان يلتزمهم ويحنو عليهم « واخفض جناحك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمن اتبعك من المؤمنين »، ويعرض آخرون فيأمره بالمزيد من الصبر فـاصبر كما صبر أولـو العـزم من الـرسل ، ثم يـواجـه بحـرب الاشاعات والافتراءات .. يقال عنه انه مجنـون ، وشاعر ، وساحر ، وصـديق حميم للجن ، وكـاهـن .. فتأبى حكمتـه ان يـرد بمثلهـا ويكتفى بتفنيد هذه الاشاعات والرد عليهـا ردا موضوعيا فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، ويشتـد التكذيب فيقابل بالآناة والحكمة « وإن كـذبوك فقل لى عملى ، ولكن عملكم ، أنتم بـريئون مما أعمـل ، وأنا بـرىء مما تعملون .. وبـدأت مرحلـة جديـدة من المواجهة تمثلت فى إيـذاء الكبار ـ أى كبـار القوم ـ ومنهم الـرسـول عليه الصـلاة والسلام ، وتعـذيب الصغار ــ أى المستضعفين من العبيـد والاماء ــ فيحاول الـرسـول ان يصرفهم بـالحكمة عن هـذا الأسلـوب اللاإنسـانى ، ولكنهم يصرون عليه بل ويتمادون فيـه .. فماذا يفعل ؟ لم يكن بيـده ان يـدافع عن أصحـابـه ، ثم إن دينـه يرفض مقابلة هذا الأسلوب الوحشـى فى التعامل مع الخصم بمثله ، فيلجأ الى ربـه ليخفف عـن أصحـابـه ، ويـوصيهم بـالصبر والاحتساب (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

ويشتد العـذاب وتشتد المطـاردة ، فيأمر أصحـابه بترك وطنهم واللجـوء الى أرض تستظل بحـاكـم عـادل ، فيهـاجـرون الى أرض الحبشـة ، ويأبى الكفرة إلا مـلاحقتهم عند النجـاشـى ، ليستثيروا نزعتـه النصرانية ضد الدين الجديـد .. ولكن الرجل الحكيم يستمع لحجج الطـرفين ثم ينتصر لأصحاب محمـد ويمنحهم حق اللجـوء السياسى ويطـرد عتاة مكة ويـردهم خائبين .. ويستمـر العذاب ، ويأخـذ العـديـد من الصـور ، التجـويع والعـزل الاجتماعى ، والسجن.. ويقابل كل هذا بالصبر .. وهـو فى هذه الشدة والضائقة يأتيـه جبريل ويطرح أمـامه حـلا عسكريا .. يقـول له (لـو شئت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اطبقت عليهم الأخشبين ـــ الجبلين) فيكون جـواب النبى غايـة فى الحكمـة (لعل الله ان يجعل من اصـلابهم من يعبد الله عـز وجل) وبعد ان يبلغ مـرحلة اليأس من قومـه يأتيه هاتف السماء يـدعوه لهجـرة هذا المجتمع الفـاسد البـاغى ، الى مجتمع آخر يتسع قلبـه للمعرفة ، ويصبو الى الايمان ..

وبعد ان كـان محمد لا يسمع إلا صراخ المعـذبين بمكة تـرامى اليه هتاف الملبين بالمدينة (ايها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع) ، ومع هذا الترحيب من معظم أهل المدينـة ، كانت قلاع اليهود تـدبر تـآمـرا ، وتستعين ببعض الموتـورين من زعماء المدينـة .. ويحاول الرسول جهـده ان يتفاهم مع اليهود باعتبـارهم أهل كتاب ، ولكنه لا يكسب منهم إلا القليل .. أما أهل المدينة الذين رفضوا الايمان به فلم يمدوا اليهم يده بالسوء ..

بل على العكس ظل يـلاطفهم ويجاملهم حـرصا على مـودة من استضافوه من ذويهم .. وتكفينا قصـة عبدالله بن ابى نختارها من آلاف القصص كنمـوذج يؤكـد مدى النجـاح الذى حققـه الرسـول بحكمته وهـو يعالج مشاكل قومـه ، فعبدالله بن أبى كان مـرشحا لملك المدينة فى السنة التى قـدم فيها الرسول اليها ، وكـانوا يعدون له الخرز ليتـوجوه بها ، فلما حل الرسـول بالمدينة اسلم لـه أهلها القيـادة ، فحقد عبـدالله على الرسـول وعلى كل من آمن به ، ولكنـه لم يستطع ان يـواجههم بـالعـداوة وآثـر أسلـوب الكيـد والـدس والنفاق ، وقد بلغ كيده قمـة الخطورة فى غزوة بنى المصطلق ، فقد آثار فتنـة بين المهاجـرين والأنصـار كادت تـؤدى بهم الى الاقتتال بالسـلاح ، فاشتد غيظ عمـر بن الخطاب منه واقترح على الـرسول ان يـرسل اليه بمن يقتلـه ، فقال لـه الرسـول (فكيف يا عمـر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه)..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتـرامى الى ابن عبـدالله ابن ابى وكـان من المؤمنين مـا أشـار بـه الصحابة من قتل ابيه ، فذهب الى الرسول وقال له (إنه بلغنى انك تريد قتل أبى ، فإن كنت لابد فاعلا فأمر لى فأنا أحمل اليك رأسه.. لأننى أخشى أن تأمر غيرى بقتلـه ، فلا تـدعنى نفسى ان انظر الى قاتل ابى فأقتله ، فأكون قد قتلت مؤمنا بكافر فأدخل النار) فقال له الرسول (بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقى معنا).

وانتصر الرسول بحكمتـه على من كان سيملك المدينة ، ويحكى ان الرسول شـاهد عبدالله ابن أبى وهو منكس الـرأس ، فقال لعمر (كيف تـرى يـا عمـر ! أما والله لـو قتلتـه يـوم قلت لى : اقتلـه ، لأرعفت له أنـف لو أمرتها اليـوم لتقتله لقتلتـه) ، فقال عمـر : قد والله علمت لأمـر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم أعظم بـركـة من أمرى . بمثل هـذا الأسلوب الحكيم هـزم الرسـول من كان سيملك المدينة دون قتال وجمع شمل المسلمين حوله ، وألف بين قلوبهم .

وبالحكمة حرر الرسول العبيد :

لقد ووجـه رسول الله وهو يعـالج قضايـا قومه، بصـور بشعة من هذه القضايـا منها قتل الأطفال خشية الجوع أو العـار، فواجه هذه الجريمـة بحسـم وأعلن حربا ضاريـة عليها حتى سجل النصر فى هذه المعـركة.. لكن تبقت قضايـا كثيرة بالغة الخطـورة استعان عليها بالصبر وعالجها بالحكمة.. فالاصنام التى كانت تملأ الكعبة، لم يهدمها بمعوله إلا بعد عشرين سنة مـن دعوته.. ولكنه هدمها فى نفوس المؤمنين بالدعوة إلى الإيمان بـالله وعدم الاشراك به، كما هدم كيـانها فى نفـوس المشركين، وأوهن من قـدسيتهـا.. فلما عـزم على إعمال معوله فيها تداعت إلى الأرض، وتداعى معها إيمان قومه بها .

وكـانت قضية العبيـد والاماء معقـدة غايـة التعقيد، لأن العبيـد والإماء كانوا بمثابة سلعـة تباع وتشترى ،وكانت هذه التجارة تمثل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الـدعامـة الاقتصاديـة لمجتمع السادة، كـان التفاضل بينهم بقـدر مـا يملك السيـد من العبيـد، وبقدر مـا يستمتع بـالجميـلات من الامـاء.. إنها مشكلة اقتصــاديـة ومشكلـة اجتماعية، فإذا واجههـا الرســول بالشدة التى واجـه بها قضية وأد البنــات وقتل الأطفال، فإنه سيلقى مقــاومة عنيقة، فلجأ لأسلوبـه الحكيم، وهو التشجيع على عتق العبيد، أما بالنسبة إلى الإماء فناشد السادة بعدم اكراههن على البغاء، وهـذا بناء على ما أوصى بـه ربه «ولا تكرهـوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا»..

وحتى ينجح فى دعوتـه لتحرير هؤلاء الرقيق، استقطبهـم لدينه، وضمهم لأصحـابه، وســاوى بينهم فى كل شىء.. فبـادر أصحـابـه بتحـريـر هـؤلاء الرقيق، استقطبهـم لدينـه، وضمهم لأصحـابـه، وساوى بيتهم فى كل شـىء..

فبادر أصحــابه بتحـرير عبيدهم، كما بـادروا بتحريـر الأرقاء الذين كانوا يسامـون العذاب وذلك بشرائهم من سادتهم ثم إطلاق حريتهم..

ثم استحث المؤمنين على إطـلاق حريـة العبيد تقـربا إلى الله أو تكفيراً للـذنـوب.. وبذلـك تمكن بحكمته من تطـويق هـذه المشكلـة الاجتماعيـة بل انـه نصب من هـــؤلاء المحـررين من تـولى قيـادة جيـوشـه، أو تفقيـه النـاس أصـول الـدين، أو الأذان.. وهــا نحن لا نـذكـر بـلالا أو صهيبا أو سلمان الفـارسى إلا بعـد أن نقـرن أسماءهم بالسيد.

وبالحكمة تحطمت جرار الخمر :

ويواجه الرسول بقضية غاية فى التعقيد، وهى شرب الخمر، فقد كانت معظم بيـوت أهل مكة والمدينـة مزودة بجرار الخمـر، وكانت تجارة الخمر من اروج التجارات.. فماذا يفعل الرسول.. كانت أولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خطواتـه نصيحة أصحـابه بعـدم شرب الخمر مبينـا لهم أضرارها النفسية والصحية..

ومع هـذا فإن بعض حديثى الاسـلام لم يكفـوا عن تنـاولها.. وتصادف أن قـام بعض هؤلاء للصـلاة فأخطأوا فى قـراءة القرآن، فنزل على الفور تحذير من السماء بنهى المسلمين عن الصلاة وهم فى حـالـة سكـر.. «لاتقربـوا الصـلاة وأنتم سكـارى حتى تعلمـوا ما تقـولون» ومع هـذا لم يكف النـاس عن شرب الخمر بـاستثناء المؤمنين،، ويواصـل الرسول دعـوته للكف عـن شربها، واستهجان شـاربيها، ثم تأتى البشرى بـالتحريم عنـدما يبـدأ فى تشكيل أول دولـة اسلاميـة» إنما الخمر والميسر والانصـاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » تأتى حيثيـات هذا التحريم فى نفس الآية إنما يـريد الشيطـان أن يـوقع بينكم العـداوة والبغضاء فى الخمـر والميسر، ويصـدكم عن ذكر الله وعـن الصلاة، فهل أنتم منتهـون.. ويهتف المسلمـون بالاستجـابة، انتهينـا يارب.. أمـا عقوبـة شرب الخمـر فتأتى بعـد ذلك بتشريع من رسول الله، وتشريـع الرسـول مكمل لتشريع الله، مـا أتـاكم الرســول فخذوه، ومـا نهاكم عنـه فانتهوا.

بمثل هـذا الاسلـوب الحكيم اختفت الخمـر، وتـاب السكـارى، وتطهر الشعب.

وبالحكمة اشتبشع الزنا :

وماذا يفعل فى قضية الغـرائز الجنسية، والتى كانت تمارس سرا وعـلانيـة.. بل كـانت تجارة معترفـا بها، وانكى من هـذا أن بعض سـادة العرب كـانوا يكـرهـون الإماء على ممـارسة الجنس مقـابل أجر.. وأشـهر هـؤلاء السـادة المنافق عبدالله بن أبى.. ومـن المشاهد التى كـانت تثير التقزز والنفـور أن بعض النسـاء كن يطفن حـول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكعبة عــريا وينشــدون شــعرا ماجنـا .

لقـد ظل الرســول يـدعو النــاس إلى نبـذ الزنــا، ويشـجعهم على الــزواج، وكــان يوصـــى غير القادرين على الــزواج بــالصــوم حتى يلجموا شـهـواتهم بالجوع (أيها الشبــاب، من استطاع منكـم الباءة (أى المقدرة) فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بــالصوم فإنه له وجاء (أى وقاية)..

ونادى فى النساء يدعوهن لتجنب الاختــلاط بالرجال والتبذل فى الطرقات.. وكانت السماء تزوده بـالنصائح الخالدة « قل للمؤمنين يغضــوا من أبصارهم، ويحفظـوا فــروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعــون، وقل للمـؤمنــات يغضضن من أبصــــارهن، ويحفظن فـــــروجهن » وبــــاركـت السماء كل من يستعفـف عن الفحشاء ، ووعـدتهم بالخير «وليستعفف الـذين لا يجدون نكـاحاً حتى يغنيهم الله من فضلـــه»، ثم نـــزلت آيــات التشريع ووضعت عقـوبـات للزنــاة، وتــرك التطبيق للـرسول، فعـالج الأمــر بمنتهى الحكمة..

كــان إذا جــاءه الـزناة معترفين يطلبـون تـوقيع العقـوبـة على أنفسهم لايعجل بتوقيع العقــوبة، ولكنــه يراجعهم المرة والمرة حتى إذا أصروا قــام بتنفيــذ العقـوبـة عليهم.. ثــم يترحم على من يقتل منهم.. بمثل هذا الأسلوب الحكيم قطع دابر جريمة الزنا ..

وبالحكمة عالج قضايا السياسة :

وبنفس الأسلـوب الحكيم عـالج قضــايــاه السيـاسيـة.. كــان مفـوضا حكيما وسيـاسيـا حكيما.. كــان وهو يفـاوض يستهـدف الانتصار لـدعوتـه وتجنب سفك دماء أنصــاره أو خصومــه.. كان ينادى فى النــاس وهو طـريد من الطــائف «من رجل يحمينى حتى أبلغ رسالــة ربى» . ولكنه وقف بصلابـة عندما جاءه زعماء قـومه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يفاوضونه ليتنازل عن دعوته فى مقابل ملك مكة، أو أى مال يطلبه، قال لكبير المفاوضين وهو عمه « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».. وبعد أن خرج من مكة مهاجرا، واقام صرح دولته، عزم على العمرة إلى الكعبة، فانزعجت قريش، وتأهبت لمواجهته بالسلاح، ولكنه افهمهم أنه مسالم وليس مقاتلا .

وبدأت مفاوضات صلح الحديبية، وانتهت بعقد ميثاق ظاهره انتصار لأعدائه، أما باطنه فكان قمة الانتصار له ولدينه.. فقد ضمن بهذا الصلح الاعتراف الصريح منهم بدعوته، وضمن العودة معتمرا إلى مكة فى العام التالى، وكسب مواقع جديدة فى مكة ثبت بها أقدمه، ثم انه لم يسفك قطرة دم من أصحابه أو من أعدائه .

وبالحكمة انتصر وبالحكمة ننتصر :

أما فى العلافقات الدولية فإنه لجأ إلى الحوار مع الدول الكبرى، فأرسل لقادتها رسائل، ووفودا، ولم يرسل إليها جيوشا، ولقد تأثرت بعض هذه الدول بهذا الأسلوب الحكيم وبادلته بمثله.. صحيح أن هذه الدول لم تدخل دينه أثر هذه الرسائل، ولكنه أقام عليها الحجة، والزمها بالبرهان، فلما بدأ الفتح على أيدى خلفائه من بعده، وجدوا الطريق أمامهم ممهدا، ويكفى برهانا على هذا انه لم يمض ربع قرن إلا وهذه الدول العظمى قد دخلت فى دين الله أفواجا.. ولم يشعر أبناء هذه الدول بأنهم خاضعون لاحتلال أجنبى يستوجب المقاومة .

لقد انتصر محمد بالسياسة الحكيمة على كل خصومه، بل انه اكتسبهم إلى جانبه، وصدق الله حين قال له «فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم».

ولازمته الحكمة فى ميادين القتال، فهو أولا يقف موقف المعتدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى جميع حروبه ، بل كان يدفع البغى والظلم عن المؤمنين «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله»،، على هدى هذا التوجيه الربانى خاض رسول الله كل معاركه.. ومع انه كان يقاتل بشدة وبسالة، ولكنه بعد أن ينتصر كان يرفق بأعدائه فيمن على بعضهم، ويفدى البعض الآخر، «فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها .»

وكان إذا استجار به ألد أعدائه أجاره ثم أسمعه القرآن ونصحه بالتوبة، وقد أوصاه ربه «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه .».

وبالحكمة خاطب العالم الخارجى :

ولقد ضرب المثل الأعلى يوم أن دخل مكة ظافرا فقال لمن كانوا من أشد الناس عداوة له «لاتثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء». بل انه جعل من بيت ألد الناس خصومة له مكانا آمنا، فقال «ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن» .

بهذا الأسلوب احتوى الناس برحمته وعطفه وحنانه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ».

بهذا الأسلوب الحكيم عالج رسول الله كل قضاياه، فانتصر بالحكمة وهو يعالج أمراض المجتمع ، وانتصر بالحكمة وهو يحاور خصومه بالسياسة، وانتصر بالحكمة وهو يشهر سيفه فى وجه أعدائه، وانتصر بالحكمة وهو يضع أساس أعظم وأعدل دولة فى التاريخ .

ويا ليت شبابنا يأخذون بحكمته وهم يعالجون أمراض مجتمعهم، ويا ليت حكامنا يسوسون شعوبهم بالحكمة فيفسحوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صـــدورهم لغضب الشبـــاب، حتـى لا يشتط ويخرج عن ســـواء السبيل .

وياليتنا نأخذ بحكمته فى علاج قضايا أمتنا ونحن نواجه أعداءنا وما أكثرهم، ويا ليت العـالم كله يستهدى بحكمته فيعيش فى سلام وأمن وحب. «ومن يؤت الحكمة فقـد أوتى خيرا كثيرا، وما يذكر إلا أولو الألباب» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهـــرس

الصفحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الإيداع ٩٦٠٩ / ٩٦
الترقيم الدولى I. S. B. N
977 - 08 - 0306 - 5

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



طبعت بمطابع أخبار اليوم